موسوعة الحياة الرهبنة السليمة
الإصدار السادس ٢٠٢٤م
الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها
إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

الرهبنة حياة "معرفة تسليم ـ إيمان ـ ثقة في الرب"

{١} مار إسحق السرياني	{٢} القديس يوحنا السلمي	{٣} مار فليكسينوس
{٤} توما الكمبيسي	{٥} القديس ثوفان الناسك	{٦} الأنبا برصنوفيوس
{٧} قديسون أخرون	{٨} القديس مكاريوس	{٩} القديس باسيليوس الكبير
{١٠} القديس أوغسطينوس	{١١} القديس نيقوديم الاثوسي	{١٢} سمعان اللاهوتي الجديد
{١٣} القديس مرقس الناسك	{١٤} القديس ديادوخوس الناسك	

{١}

مار إسحق السرياني

📖 ٤ـ الأفكار الباطلة والجهل تجعل الإنسان مثل البهائم، تُفرّغه من الإيمان، وتشوش ذهنه، وتملأه بخيالات أفكار تافهة، لأن غياب الإيمان يحرم الإنسان من أية معرفة بالحق فيما يخص الله، ومن الثقة التي يجب أن تكون له في الله كل حين.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر التاسع ـ صفحة ٧١

📖 [٦٤] الإيمان هو حركة مَملوءة يقيناً، وثقةً بنعمة الله، تظهر في العقل من جهة أمور لا يُمكن أن ترسِمها الأسطر. لأن العقل المؤمن هو الذي له سلطان أن يعرف الأمور التي تُستعلَن للأصحاء، أما المريض الذي غذاؤه البقل، فلا يُعطَى له غذاء الأصحاء.

ميامر مار إسحق - الكتاب السادس - الميمر الثالث - المئة الاولي - صفحة ٦٤٩

📖 ٢- معرفة {الله} الحق تملأ القلب بالسلام، وتثبته في الفرح، وفي الثقة. كثيرة وعجيبة هي مشوراتها، ثابتة ومطمئنة، وهي تنير العينين {مز١٨:٨}.

📖 ٣- هذه المعرفة تنصح الإنسان قائلة: "لا تضطرب، فالخليقة لم تترك للصدفة، ولا هي تتدبر من ذاتها، بل إن لها مدبراً «لا ينعس ولا ينام» {مز١٢١:٤}، ولا يفلت شيء منها على الإطلاق من ملاحظته".

ميامر مار إسحق - الجزء الخامس - الميمر التاسع - صفحة ٧١

📖 إن كنت تثق في سياسة الله وتدبيره أنها ضابطة جميع أمورك، فلا تستعمل التحايل البشري... فلا تتَّكل على إنسان لئلا تخيب من النعمة... إن كنت تؤمن فلا تخف، لا من شيء تحتاجه من ضروريات القوت الوقتي، ولا من شيء يؤذي الجسد، كما لو كانت الأشياء تأتي عليك كيفما اتفق أو كأنك خالٍ من العناية بهمج {بدون مدبر}، فحيث يوجد اقتناع الضمير لا يكون هناك رعب من الأفكار، وحيث يكون التقسُّم وشك القلب لا يهدأ الضمير من الرعب.

📖 والنفس لا تقدر على الإقدام على الأمور المحزنة، والتجارب العسرة من غير الثقة التي تكون من الإيمان. الحية إذا ترضض جسمها كله فإنها تحفظ رأسها وحده، والراهب الحكيم يحرس ويصون إيمانه كل حين، فهو رأس حياته.

📖 الإيمان {النظري} المكتسب من التعليم لا يعتق الإنسان من العظمة والظنون والشك، بل الإيمان {العملي} الذي يشرق بالفهم، ويُنظر بالعقل ويُسمى استعلان الحق.

📖 الإيمان هو حركة مملوءة يقيناً وثقة بنعمة الله، تظهر في العقل من جهة أمور لا يمكن أن ترسمها الأسطر. لأن العقل المؤمن هوالذي له سلطان أن يعرف الأمور التي تُستعلن للأصحاء، أما المريض الذي غذاؤه البقل، فلا يُعطى له غذاء الأصحاء.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ {١} رؤوس المعرفة ـ صفحة ٤٨

📖 ١ــ رأس النفس هو الإيمان الصحيح، مع معرفة الحق.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الرابع ـ صفحة ١٣٥

📖 ٩٦ــ عندما يعتنق الصديقون الإيمان البسيط بالمسيح بإخلاص وعدم شك، ويسمعون مواعيد الروح أن «الذين يؤمنون بي يُخرجون الشياطين باسمي، ويحملون حيَّات، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون»، وما إلى ذلك، فإنهم بكل سهولةٍ يتممون بأيديهم الآيات والمعجزات ببساطة إيمانهم. أما الإيمان الذي يأتي من معرفة الرؤية الإلهية فهو يفتش ويستكشف أسرار الإيمان.

📖 والإيمان إما أن يتعوق عندما يدخل الإعجاب بالنفس، ويتوقف عند مفترق الطرق، أو أنه يكون مسنوداً بالنعمة بسبب الأتعاب الدؤوبة، والتدبير الراسخ، والدموع الحزينة. وإذ ذاك يكتشف نور المعرفة الحقيقية التي للعالم الجديد العقلي.

📖 فالإيمان هو عين النفس، والرجاء هو رؤيتها، والمحبة هي النور الحي العقلي، والنفس لا يمكن أن تمتلئ بالفرح والتعزية الخفية إلا بفعل النعمة.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢١٤ ـ ٢١٥

📖 "إن كل اهتمام الشيطان ينحصر في هذا الأمر: أن يقنع الإنسان أنه ليس لله عناية به. لأنه يعلم جيداً أننا طالما كنا ندرك هذه العناية بوضوح، وتترسخ فينا هذه المعرفة، فإن نفوسنا سوف تسكن في سلام كامل. هذا إلى جانب أننا سوف نقتني حباً لله، واهتماماً بكل ما يرضيه. فهذا الفكر هو الذي يجاهد الشيطان أن ينزعه منا".

٢٢ــ بدون الإيمان لا يستطيع أحد أن يدنو من حرية الأفكار.

٢٣ــ الحرية هي سلطة على الفكر.

وهي تأتي من الله، ولا تسمح للخوف من أي شيء على الإطلاق أن يقترب من القلب، ولا لأية حركات مزعجة أن تُظلمه. وهذا يكون بسبب الثقة العظيمة التي يهبها الإيمان للضمير المخلص.

٢٤ــ صلاة الإيمان حين يُصلى بها إلى الله لا تكون بهذا المعنى: "ماذا ستعطيني؟"، لأن النفس الحرة تثق أن الله لا يحتاج إلى مثل هذا السؤال، لكنها بالأحرى تطلب منه شيئاً أعظم، أي احفظ في قلبي ذلك الكنز العظيم، كنز الإيمان، حتى لا يُخطف مني وأقع في عواصف الأفكار {المقلقة} ــ ولو أن الله في الحقيقة ليس بحاجة إلى هذا الطلب أيضاً.

٢٥ــ طالما أن الإنسان لم يفقد الإيمان الذي في قلبه، وأعني بذلك معرفة أكيدة بأن عناية الله تحفظه من الوقوع في ظلام العقل ــ الذي يتولد منه القلق والانزعاج ــ وتجعل نفسه ممتلئة دائماً بالنور والفرح، وتنعم بالابتهاج كل حين، فإن ذلك الإنسان يسكن، كما لو أنه في السماء، باستنارة أفكاره التي يغرسها فيه إيمان قلبه.

ومن هنا فصاعداً يُحسب مستحقاً لاستعلان التاؤريا.

٢٦ــ إذا ما شك الإنسان في عناية الله به، فسرعان ما يسقط في ربوات الهموم.

٢٧ــ الله لا يهمل حتى الخطاة، فكم بالأولى الذين جعلوا اهتمامهم فيما هو لائق، وهم يجتهدون كل حين أن يقتربوا إلى معرفته ومحبته. فكل من وجد في نفسه هذا الاعتبار، يسكن دائماً في سلام وفرح.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر الخامس ـ صفحة ٦٩ ـ ٧٠



📖 إذا وجدت نفسك أهلاً لمغادرة الدنيا، والذهاب إلى السكينة {تشير إلى الحياة في الصمت، والعزلة المكرمة لله وحده "الناشر"}، التي أحمالها خفيفة في ملكوت حريتها، فلا تدع الخوف يغرقك كعادته، في أفكار متعددة، ومتقلبة. بل ثق بأن حارسك معك، وتيقن من خلال معرفتك أنك أنت وكل الخليفة تخضعون لسيد واحد، يحرك ويهز ويهدئ، ويدير الكل بإيماءة واحدة.

📖 واعلم أنه لا يمكن لعبد أن يؤذي رفيقه دون إرادة مدبر الجميع وموجههم. فانهض حالاً وتشجع. فإذا كانت الحرية قد أعطيت للبعض، فاعلم أنها لم تعط لهم في كل شيء. لأنه لا الشياطين، ولا الوحوش الضارية، ولا الناس الأشرار، يمكنهم أن يتمموا مآربهم في الفساد، والإهلاك، إلا بإرادة مدير الكون.

📖 وإن سمح لهم بذلك فإنه يضع لهم حداً، لأنه لو تركهم يمارسون حريتهم كلها لما بقي جسد حي. لأن الرب لا يدع الشياطين والبشر يتسلطون على خليقته، ويفعلون بها ما يشاؤون.

📖 إذاً خاطب نفسك دائماً وقل: "عندي ملاك حارس يحميني، ولا يمكن لأحد من المخلوقات أن يقف بوجهي، إن لم يؤذن له من فوق".

📖 ثق أنهم لا يستطيعون أن يظهروا أمام عينيك، ولا يجبرون أن يدنوا من مسمعك بأصوات تهديداتهم، لو لم يؤذن لهم من فوق، من السماوي، وإلا لما كانوا استخدموا هذه الطريقة، بل فعلوا ما أرادوا.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة ـ صفحة ٢٣

📖 وقل لنفسك أيضاً:

📖 إن كانت مشيئة سيدي أن يتسلط الأشرار على مخلوقاته، فلا سبيل لكِ أن ترفضي ذلك، بل كوني مثل عبد لا يرضى مخالفة سيده.

📖 بهذه الطريقة تمتلئ فرحاً أثناء التجارب، لأنك تعلم وتدرك جيداً أن إرادة السيد تدبر توجهك. ثبت قلبك في الرب وثق به، ولا تخش "لا

من خوف ليلي، ولا من سهم يطير في النهار"، لأن إيمان البار بالله يجعل الحيوانات الضارية أنيسة كالنعاج.

وإذا قلت: "إني لست باراً لأكون متوكلاً على الله، فاعلم أنك خرجت إلى البرية الملأى بالشدائد من أجل عمل البر، وصرت مطيعاً لمشيئة الله. واعلم أن تعبك سيكون باطلاً إذا كابدت هذه الأتعاب كلها ولم تقدم أحزانك كذبيحة حب الله، وإن كان الله لا يريد أتعاب الناس.

هذا الأمر يميزه جميع الذين يحبون الله، ويصبرون على الضيقات حباً به. لأن الذين ارتضوا أن يعيشوا بالمسيح يسوع بمخافة الله، يتحملون الضيقات، ويصبرون على الاضطهادات، أما هو فيجعلهم أسياداً على كنوزه الخفية.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة ـ صفحة ٢٤



الطفل يقترب من الحية فيمسكها، ويضعها على عنقه، ولا تؤذيه. يسير عارياً في أوان الشتاء، بينما الآخرون يلبسون ويلتحفون، ومع ذلك يدخل البرد أعضاءهم، أما هو فيجلس في البرد والجليد والصقيع ولا يتألم. لأن جسده البريء متسربل بلباس آخر غير منظور، منحته إياه العناية الإلهية التي تحفظ أعضاءه النضرة، فلا يمسها سوء.

هل آمنت أن هناك عناية خفية تنقذ الجسد الناعم المعرض للأذى بسهولة ضعفه، ولين عرقه. وتحميه من الضربات عندما يحيط به المضادون؟ واعلم أيضاً أنه حينما يقال: "إن الرب يحفظ الأطفال" فلا يقصد الأطفال بالجسد وحسب، بل أولئك الحكماء الذين في العالم أيضاً، الذين تخلوا عن معرفتهم، واتخذوا الحكمة الوافرة الخفية سنداً لهم، وصاروا أطفالاً بإرادتهم، وتلقنوا الحكمة التي لا تقتبس بالوسائل العلمية.



وقد تكلم بولس الإلهي بصدق إذ قال: "من كان منكم، يعتقد أنه رجل حكيم بمقاييس هذه الدنيا، فليكن أحمق ليصير حكيماً" (١كور ٣: ١٨). فاطلب من الله أن يمنحك البلوغ إلى مستوى الإيمان.

وإذا شعرت بطراوته في نفسك، فاعلم أن لا شيء يمنعك عن المسيح، لكنك معرض للوقوع أسير الأشياء الأرضية، إذا صعب عليك أن تنسى هذا العالم السقيم وذكرياته.

صل بلا ملل، وتضرع بحرارة، واطلب باجتهاد كثير، حتى تنال الحماية، واحذر أن تتراخي فيما بعد. واعلم أنك ستستحقها إذا أرغمت ذاتك على وضع همك لدى الله بإيمان، واستبدلت عنايتك الذاتية بعنايته.

وعندما يرى أنك قد آمنت به، بفكر طاهر أكثر من إيمانك بنفسك. وأنك أرغمت ذاتك على الرجاء، به أكثر من رجائك بنفسك. فسيظللك بتلك القوة، وتدرك عندئذ إدراكاً حسياً أكيداً ما حل فيك. أي تلك القوة التي يحس بها كثيرون، فيعبرون وسط النار دون وجل، ويمشون على المياه دون خوف.

لأن الإيمان يقوّي حواس النفس، ويجعلها تحس بوجود كائن غير منظور يحثها على عدم الاكتراث للمشاهد المخيفة، والمشاهد التي لا تستطيع الحواس أن تتحملها.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة التاسعة عشرة ـ صفحة ٧٠ ـ ٧١

اعترف أمام الله، وتضرع إليه ببساطة، حتى تسلك أمامه سيرة صالحة، وتصبح بدون هم. لأنه كما أن الظل يتبع الجسد، هكذا الرحمة تتبع التواضع.

فإذا كنت تريد أن تسير على هذه الطريق، فلا تمد يداً للأفكار السقيمة. وإذا أحاطت بك كل الأضرار، والشرور، والمخاطر التي تسبب لك الرعب، فلا تهتم بها، ولا تحسب لها حساباً.



📖 إذا آمنت بالرب القادر على حفظك، فلا تهتم بل قل لنفسك: "إن الذي سلّمته ذاتي يكفيني في كل شيء، ولم أعد أنا المدير لحياتي، بل هو". وعندئذ تشاهد عجائب الله بالفعل، وترى أنه قريب دوماً لإنقاذ الذين يخافونه، وأن عنايته تشملهم دائماً بحال غير منظورة.

📖 يجب ألا تشك في وجود حارسك الكائن معك، بحجة أنه لا يُرى بالأعين الجسدية، مع العلم أنه يمكن أن يُعلن للأعين الجسدية بغية تشجيعك.

📖 عندما يتجرد الإنسان من كل معونة منظورة، وكل رجاء بشري، ويتبع الله بإيمان، وقلب نقي. تتبعه النعمة حالاً، وتكشف له قوتها بمساعدات متنوعة.

📖 تريه معونتها أولاً: من خلال الأشياء الظاهرة التي يحتاجها الجسد، حتى يتمكن من إدراك قوة عناية الله به بشكل أفضل، ويتأكد من الخفيات بإدراك الظاهرات، مما يتوافق مع طفولة عقله، وسلوكه البسيط. وهذا يعني: أن حاجته تُهيأ دون أن يهتم بها.

📖 كما أن المعونة تنقذه من أضرار كثيرة مداهمة، وتقيه أحيانا كثيرة من ظروف خطرة يجهلها، وتقصيها عنه بأعجوبة كبيرة دون أن يحس بها. وتصونه كما تصون الدجاجة فراخها، ساترة إياها بجناحيها كيلا يمسها ضرر. وتريه بعينيه كيف أنه كان موشكاً على الهلاك، لكنه مع ذلك حُفظَ وبقي بغير أذى.

📖 ولا تكتفي نعمة المعونة بالظاهرات، بل تدربه أيضاً في الأمور الخفية، وتكشف له مكائد الأفكار، والمعاني الصعبة غير المدركة. فيسهل عليه إدراكها، ومعرفة تسلسلها، وكشف خداعها.

📖 ويعرف أيضاً الأفكار التي تلتصق به، وكيف أنها تتوالد من بعضها وتهلك النفس. فتخذل أمام عينيه كل مكائد الأبالسة، وقواعد

أفكارها، وتمنحه فهماً لمعرفة المستقبلات، وتشرق في قلبه البسيط نوراً خفياً لإدراك قوة معاني الأفكار الدقيقة في كل شيء، وتريه كما بأصبع المصائب التي كانت مزمعة أن تحل به لو لم يستدركها.

📖 وهكذا يعي أن كل شيء، كبيراً كان أو صغيراً، يجب أن يطلب من خالقه بالصلاة، ومتى ثبتت النعمة الإلهية عقله في هذه الأمور كلها، وجعلته يثق بالله. يبدأ في الدخول في التجارب، التي تبدأ قليلة، ثم يسمح الله أن تتكاثر، إذا كان باستطاعته احتمال قوتها.

📖 وفي أثناء هذه التجارب تأتيه المعونة الإلهية بصورة حسية لتشجيعه، حتى إذا تروض بها تدريجياً يقتني الحكمة، متكلاً على الله ومزدرياً أعدائه.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة التاسعة عشرة ـ صفحة ٧٢ ـ ٧٣

📖 إن الثبات على الرجاء بالله أثناء الطلب في الصلاة، هو أحد جوانب نعمة الإيمان الحسنة. والثبات في الإيمان بالله، لا يأتي من الاعتقاد الصحيح، الذي هو منبع الإيمان، بل أيضاً من النفس التي تشاهد حقيقة الله بقوة سيرتها.

📖 عندما تجد الإيمان في الكتاب المقدس ممزوجاً بالسيرة الحسنة، فلا تقل بعدها إن الاعتقاد المستقيم هو وحده {دون الأعمال} أساس المشاهدة، لأن الإيمان الذي يُعرفنا على الرجاء، لا يمكن أن يُدركه الذين لم يعتمدوا، أو الذين فسدت أذهانهم. فيقين الإيمان يُعلن لذوي النفس السامية، الذين يتممون وصايا الرب، كل بحسب مستواه.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والثلاثون ـ صفحة ١٢٩

📖 الإيمان هو: "إعلان الفهم، فإذا أظلم الذهن يختفي الإيمان، ويُقطع الرجاء، ويستولي الخوف".

الإيمان الذي يحرر من الكبرياء، والشك، هو: "الإيمان المرئي، والمشرق بالإدراك، لا الإيمان المكتسب بالتعلم، ولهذا يُدعى فهم الحقيقة، وإظهارها".

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة التاسعة والخمسون ـ صفحة ٢١٦



كتاب: نسكيات مار اسحق

المقالة الثانية والستون: عن الإيمان والمعرفة

إن النفس التي سلكت سبل الحياة الرهبانية، وتبعت طريق الإيمان، وحققته مراراً عديدة. إذا ما عادت إلى طرق {الاعتماد على} المعرفة البشرية، فإن إيمانها سيتلاشى حالاً، وتفقد قوتها العقلية، التي تظهر عادة في النفس النقية. من خلال المساعدات الإلهية المتنوعة، ومن خلال أعمالها التي تقوم بها ببساطة، بعيداً عن الفحص والاستقصاء.

لأن النفس حين تسلّم ذاتها لله بإيمان، وتتذوق طعم معونته، لن تهتم بنفسها، بل تكم فاها بالصمت والدهش، وتتخلّى عن سلطتها الذاتية {على نفسها} حتى لا تعود إلى طرق معرفتها القديمة، فتفكر من خلالها، لأنها ستصطدم بها فتخسر معونة الله، التي تفتقدها دائماً بصورة خفية، وتقدم لها كل ما تحتاجه.

وإذا ظنت أنها تستطيع أن تعتني بنفسها، بقوة معرفتها، تكون حمقاء، لأن الذين أشرق فيهم نور الإيمان، لن يتجاسروا على التضرع من أجل ذواتهم، سائلين الله وقائلين: "أعطنا كذا، أو ارفع عنا كذا"، ولا يهتمون بأنفسهم أبداً.

لأنهم يرون كل ساعة بعيون إيمانهم العقلية، عنايته الأبوية التي تظللهم. فهو الأب الحقيقي، ومحبته لا تُحد، بل تفوق كثيراً كل محبة أبوية بشرية، وهو القادر أكثر من الجميع أن يساعدنا فيما نطلبه، ونتذكره، ونفكر به.



📖 المعرفة البشرية معاكسة للإيمان، لأن الإيمان يبطل قوانين المعرفة (البشرية). إن تحديد المعرفة يذكر أنها: "لا تقوى على فعل أي شيء ترغبه، دون فحصه، وبحثه، والتأكد من إمكانية حصوله". أما الإيمان فهو "قوة، إذا دنا منها أحد باعوجاج رفضته رفضاً تاماً".

📖 المعرفة لا تدرك إلا بالفحص، وبالطرق الجدلية، ومنها ينشأ التردد أمام الحقيقة. أما الإيمان فلا يطلب أكثر من عقل طاهر بسيط، بعيد عن كل غش، وعن كل بحث جدلي.

📖 فانظر كيف يخالف كل منهما الآخر. بيت الإيمان يُبنى بفكر الأطفال، وقلب بسيط: "لقد مجدوا الله بقلب بسيط" (كو٣: ٢٢).

📖 "إن كنتم لا تتغيرون، وتصيرون مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ١٨:٣). أما {الاعتماد على} المعرفة {البشرية} فلا تتلاءم، ولا تتوافق مع فكر الأطفال، والقلب البسيط.

📖 المعرفة سور للطبيعة، يحفظها في كافة طرقها.

📖 أما الإيمان فيسلك طريقاً يفوق الطبيعة.

📖 ما يؤذي الطبيعة لا تدعه المعرفة يقترب منها، بل تبتعد عنه.

📖 أما الإيمان فيسمح له بالاقتراب وهو يقول: "تطأ الأسد والأفعى. تدوس الشبل والتنين" (مز ٩٠: ١٣).

📖 المعرفة يتبعها خوف، أما الإيمان فرجاء. وبمقدار ما يسلك الإنسان في سبل المعرفة يقيد بالخوف، فلا يستطيع التحرر منه. أما السالك في الإيمان فيصير حراً، وذا سيادة، يتصرف في أمره بسلطة كابن الله.

📖 الإنسان الذي يعشق هذا الإيمان، يتصرف بطبائع الخليقة كلها كإله، لأن للإيمان سلطة ابداع خليقة جديدة كما يفعل الله. وقد قيل: "أردت فصار الكل أمامك" (أيوب ٢٣: ١٣).

📖 ومراراً يبدع الايمان الكل من العدم. أما المعرفة فلا تستطيع فعل شيء بدون مادة، أو دون أن يكون موجوداً في الطبيعة. لماذا؟ لأن طبيعة الماء السائلة، لا تدع الإنسان يمشي فوقها، والنار تحرق كل من يقترب منها، والمعرفة تبعدنا عنها حتى لا نتعرض للخطر.

📖 فالمعرفة إذن تتحفظ من هذه الأوضاع، ولا تجرؤ على تعدي حدودها، أما الإيمان فيتعداها بسلطة ويقول: "إذا اجتزت في المياه فإني معك، أو في الأنهار غلا تغمرك، وإذا سلكت في النار فلا تلذعك، ولا يلفحك اللهيب" (اش ٤٣:٢).

📖 إن هذه الأعمال قد اجترحها الإيمان مراراً أمام الخليقة بأسرها، ولو أفسح المجال للمعرفة أن تختبرها لما فعلتها.

📖 كثيرون جداً من اجتازوا اللهيب بإيمان، وقيدوا قوة النار المحرقة، وعبروا في وسطها بدون أذى، ومشوا على سطح البحر كما على اليابسة.

📖 إن هذه الأعمال تتعدى حدود الطبيعة، وتخالف طرق المعرفة، وتبطل كل أحوالها، ونواميسها. أرأيت كيف أن المعرفة تحافظ على حدود الطبيعة، وأن الإيمان يتجاوزها ليشق طرق السفر؟

📖 إن طرق المعرفة حكمت العالم خمسة آلاف سنة، بقي الإنسان خلالها غير قادر على رفع رأسه عن الأرض. لكن عندما أشرق إيماننا مجدداً، حرّرنا من ظلمة العمل الأرضي، وعبودية التشتت الباطل. لكننا رغم عثورنا على البحر الساكن، والكنز الذي لا ينفد، لا نزال نفتش عن الينابيع الذليلة الوضيعة.

📖 مهما اغتنت المعرفة {البشرية، الأرضية} تبقى فقيرة، أما كنوز الإيمان فلا تسعها أرض ولا سماء.

📖 من يرتكز قلبه على رجاء الإيمان، لا يحتاج إلى شيء. وإذا لم يمتلك شيئاً، فإنه بالإيمان ينال كل شيء: "كل شيء تطلبونه وأنتم تصلون بإيمان تنالونه" (متى ٢١: ٢٢).

📖 و: "الرب قريب فلا تقلقوا أبداً" (في ٤: ٥ و٦).

📖 المعرفة تفتش دوماً عن وسائل لصيانة أصحابها، أما الإيمان فيقول: "إن لم يبني الرب البيت، ويحفظ المدينة، فباطلاً يسهر الحارس، وباطلاً يتعب البناء".

📖 من يصلي بإيمان لا يحتاج إلى وسائل وطرق {لصيانة نفسه}.

📖 أما المعرفة فتمدح الخوف في كل مكان، كما قال الحكيم: "من اتقى الرب فطوبى لنفسه" (سير ٣٤: ١٦). لكن الايمان يقول: ... "لأن الروح الذي نلتموه لا يستعبدكم، ويردكم إلى الخوف، بل يجعلكم أبناء الله". (رو ٨: ١٥). أو "لا تحزن عليها ولا تهرب من وجهها".

📖 إن الخوف يليه الشك دائماً، والشك يتبع التمحيص، والتمحيص يلي طرق الحكمة، والطرق في المعرفة، والتفتيش، والبحث يلازمه الخوف والشك بصورة دائمة. لقد برهنا إن المعرفة لا تقدر أن تحقق كل شيء في أي وقت.

📖 فكثيراً ما تتراكم على النفس أمور صعبة، وعلل كثيرة مليئة بالأخطار، فيستحيل على المعرفة، وطرق الحكمة، أن تساعدها بشيء. أما الإيمان فهو قادر أن يقهر كل الأمور الصعبة، التي تتجاوز حدود المعرفة البشرية، والتي لا تقدر قوة أخرى أن تدنو منها.

📖 هل يمكن للمعرفة البشرية أن تساعد في الحروب الظاهرة {للشيطان}، أو في الحرب ضد الطبائع اللامنظورة، أو ضد القوات اللامتجسمة، وغيرها؟

أرأيت ضعف قوة المعرفة، وعظمة قوة الإيمان؟

المعرفة تمنع طلابها عن الدنو من كل ما هو غريب عن الطبيعة.

فماذا تفعل قوة الإيمان، وماذا تبتغي لمريديها؟: "بالإيمان تُخرجون الشياطين باسمي، وتحملون الحيات، وإن شربتم السم فلا يضركم" (مر ١٦: ١٧ و١٨).

إن المعرفة تنصح السائرين في طريقها، وحسب شريعتها، أن يدرسوا نتيجة كل عمل قبل أن يباشروا به، لئلا يتعبوا باطلاً إذا عجزوا عن بلوغ نهايته بقوتهم البشرية. أما الإيمان فيقول: "كل شيء مستطاع عند المؤمن" (متى ١٩: ٢٢).

فلا شيء مستحيل عند الله.



يا للغنى الذي لا يوصف!

يا للبحر الزاخر بالأمواج، والمشتمل على الكنوز العجيبة، الفائضة من قوة الإيمان! أيها الإيمان، كم هو غني بالشجاعة، والمسرة، والرجاء، السير معك! وكم خفيفة أحمالك! وما أحلى عملك!

سؤال: "إذا استحق المرء أن يتذوّق لذة الإيمان، ثم عاد إلى معرفة النفس، فهل من فرق بين هاتين الحالتين؟

الجواب: إنه يشبه إنساناً وجد جوهرة ثمينة، فاستبدلها بنقد نحاسي. أو إنساناً ترك حريته الذاتية، وعاد إلى طرق الفقر، المليئة بالخوف، والعبودية.

ونحن لا نعني أن المعرفة أمر مذموم، بقدر ما نشير إلى سمو الإيمان. وإذا كان ثمة ذم، فحاشا أن نذمّ المعرفة، جلّ ما نفعله أننا نميز بين طرقها، وطرق الإيمان. وبين انطلاقها الطبيعي الذي يتعاكس معه، ونشير إلى شبهها بطغمات الشياطين. تم.



📖 وعلينا أيضاً أن نتكلم بإيضاح فيما بعد عن عدد درجات المعرفة، وميزة كل منها، والأفكار التي تدور في خلد الإنسان في كل من طرقها، وبأي من هذه الطرق تُعاكس الإيمان، وتُخرج الإنسان عن حدود الطبيعة إذا سلكها.

📖 وعن سمو مرتبتها، التي تجعل الانسان يسلك الخط الطبيعي، وتقربه من الإيمان بسيرة صالحة، عندما تحوّل هدفها الأول (من المعرفة النفسية إلى المعرفة الروحية). وعن الحد الذي يمكن أن تبلغ إليه مرتبتها السامية، وعن كيفية اجتيازها، هذه المرتبة إلى مراتب أسمى، وعن أحوال مراتب المعرفة الأولى، وعن موعد اتحاد المعرفة بالإيمان اتحاداً كلياً واحداً.

📖 وعن اتشاحها بمعان نارية، والتهابها بالروح، واقتنائها أجنحة اللاهوى، وارتقائها من خدمة الأرضيات إلى مكان خالقها.

📖 لكن ما لابد من معرفته الآن هو: "إن الإيمان وأعماله، أسمى من {مجرد} المعرفة {العقلية التي بلا اختبار}".

📖 هذه المعرفة {العقلية} تكتمل بالإيمان {العامل}، وبه تقتبس قوة الصعود إلى العلاء، وإحساساً بمن هو أعلى من كل حس (الله)، ومشاهدة الفجر الذي لا يُدرك بالذهن.

📖 المعرفة {العقلية} درجة يصعد بها الإنسان إلى علو الإيمان، وعندما يبلغه، لا يعود بحاجة إليها: "إننا الآن نعرف جزئياً" كما يقول الرسول: "لكن متى جاء الكامل، يُبطل الجزئي" (١كو٣ :١٠).

📖 الإيمان {العامل} يرينا حقيقة الكمال كما بأعين. وبالإيمان {العامل أيضاً} نتعلم الأمور غير المدركة، لا بالتفحص، وقدرة المعرفة.

📖 أعمال البر هي: "الصوم، الإحسان، السهر، التقديس، وغيرها مما يتم بالجسد".

📖 أما التي تتم بالنفس فهي: "محبة القريب، تواضع القلب، مسامحة الخطأة، ذكر الصالحات، فحص الأسرار المخفية في الكتاب المقدس، تأمل الذهن بالأعمال الفضلى، صيانة النفس من الأهواء، وغيرها من الفضائل.

📖 كل هذه الأعمال {الروحية} تحتاج إلى المعرفة، لأنها تصونها، وتعلّم درجاتها. وهي درجات تصعد عليها النفس، لتبلغ علوّ الإيمان الأسمى، وتدعى فضائل.

📖 أما سيرة الإيمان فأسمى من الفضيلة، وتحقيقها لا يتم بالأعمال {فقط}، بل بالراحة التامة، والتعزية، الصائرتين بهذيذ القلب، والنفس.

📖 أما أحوال السيرة الروحية العجيبة فهي: "إحساس بالحياة الروحية، والنعيم، وراحة النفس، والشوق، والفرح في الله، وغيرها. مما يعطي للنفس المستحقة نعمة الغبطة هناك، أو تلك الأمور التي تتم هنا، عندما يغمرنا الله بنعمه من خلال الكتاب المقدس، والإيمان.

📖 **سؤال:** إذا كانت المعرفة هي التي تتمم كل هذه الصالحات، وأعمال الفضائل، والابتعاد عن الشرور، وتمييز الأفكار الدقيقة النابعة من النفس، والصراع ضد الأفكار، والجهاد ضد الأهواء، وغيرها، مما لا يستطيع الإنسان أن يُظهر قوته في عمل النفس (الفضيلة) بدونها، فكيف تعتبر معاكسة للإيمان؟

📖 **الجواب:** هناك ثلاث طرق عقلية، تصعد وتنزل عليها المعرفة، وكما أن هذه تتغير، فإن المعرفة التي تسير بموجبها تتغير أيضاً. ولهذا فهي تارة تؤذي، وطوراً تفيد.

📖 الطرق الثلاث هي: "الجسد، والنفس، والروح".

والمعرفة وإن كانت واحدة بطبيعتها، إلا أنها تضمر، وبضمورها تبدل أساليبها، وطرق تفكيرها في المجالات العقلية والحسية. فاسمع ما سأحدثك به عن مرتبة عملها، والأسباب التي بها تؤذي أو تنفع.

المعرفة هبة الله لطبيعة العقليين، أعطيت لهم في البدء لكمالهم، وهي بسيطة في طبيعتها كنور الشمس، ولا تتجزأ، أما في عملها فتقبل تغييرات، وتجزيئات.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثانية والستون ـ صفحة ٢٢٥ ـ ٢٣٠

المقالة الثالثة والستون

في المرتبة الأولى للمعرفة

عندما تسير المعرفة وراء الشهوة الجسدية {الأرضية}، تتجمع فيها الحالات التالية: الغنى، المجد الفارغ، الزينة، راحة الجسد. الاجتهاد في الحكمة المنطقية، بما يتناسب مع مسيرة هذا العالم، فتزخر بالاكتشافات الجديدة، والفنون، والعلوم، وغيرها ما يكلل الجسد في هذا العالم المنظور.

وبهذه الصفات تصبح المعرفة مضادة للإيمان، كما أشرنا، وتُدعى معرفة "قاحلة" لتجردها من كل اهتمام إلهي، وتجلب إلى الذهن ضعفاً بهيمياً، يجعلها مقيدة بالجسد، لأنها مهتمة كلياً بهذا العالم.

إن منظار هذه المعرفة هو عدم الإيمان، بوجود قوة عقلية، وحاكم خفي للإنسان، وعناية إلهية تفتقده، وتهتم به من كافة الجوانب.

وهي لا تعتقد أن نظام هذا الكون يجري بعناية الله، وتنسب إلى الإنسان كل صلاح، وكل نجاة من الأمور المؤذية، وكل انتباه طبيعي واق من المصاعب، والمعاكسات، والحروب، سواء كانت خفية، أم ظاهرة.



📖 هذا المستوى من المعرفة، الذي يجعلها تعتقد أن الكل يسير بعنايتها، هو موافق بلا شك للذين يقولون "بعدم وجود حاكم لهذه المنظورات". لكنها رغم هذا لا تقدر أن تبقى خالية من الاهتمام المستمر بالجسد، والخوف عليه.

📖 فيستولي عليها صغر النفس (الجبن)، والحزن، واليأس، وخوف الشياطين، والجزع من الناس، ومن ذكر اللصوص، وأنواع الموت، وفقدان الحاجات الجسدية، والخوف من الموت، والآلام، والوحوش الضارية، وكل ما شابهها من الأهوال التي تحدث في بحر الحياة الصاخب بالأمواج، والهائج ليلاً ونهاراً.

📖 ولأنها لا تعرف أن تلقي همها على الله، وأن تؤمن به إيماناً وثيقاً، تحاول أن تدبر أمورها بالحيل، والمكائد، فإذا خابت حيلها لسبب من الأسباب، ولم تدرك عناية الله السرية، تتخاصم مع الناس الذين يقاومونها، ويعاكسونها.

📖 لا شك أن شجرة معرفة الخير والشر مغروسة في هذه المعرفة. وهي التي تفحص زلات الناس الصغيرة، وأسبابها، وضعفاتها.

📖 وتعلم الإنسان كيف يمتحن الأقوال، ويناقضها. وكيف يلجأ إلى الغش بمكائد، وحيل شريرة، وغيرها من الطرق المهينة.

📖 وفي هذه المعرفة بالضبط، يكمن الانتفاخ والكبرياء، لأنها تنسب كل شيء صالح إلى ذاتها، وليس إلى الله.

📖 أما الإيمان فينسب كل أعماله إلى النعمة، لذلك لا يمكنه الترفع كما كُتب: "أنا قادر على تحمل كل شيء، بالمسيح الذي يقويني" (فيل ٤: ١٣)، "ولست أنا، بل نعمة الله التي معي" (١كو ١٥: ١٠).

📖 وحين قال بولس المغبوط: "إن المعرفة تزهو بصاحبها" (١كو ٨: ١) إنما كان ينوه إلى هذه المعرفة غير المرتبطة بالإيمان، والرجاء بالله، لا إلى معرفة الحق، حاشاً.

📖 إن معرفة الحق تُكمِل ذويها بالتواضع:

📖 مثل موسى، وداود، وإشعياء، وبطرس، وبولس، والقديسين الآخرين الذين استحقوا هذه المعرفة الكاملة، حسب استطاعة الطبيعة البشرية. إن معرفة هؤلاء والذين يشابهونهم، تضمحل أمام الرؤى المتنوعة، والإعلانات الإلهية، ومشاهدة الروحيات السامية، والأسرار التي لا توصف، وتصبح نفوسهم في أعينهم كالتراب والرماد.

📖 أما المعرفة الأخرى: فتنتفخ إلى أقصى الحدود:

📖 لأن سيرها في الظلمة يجعلها تختبر أمورها، بمقارنتها بالأشياء الأرضية، جاهلة وجود من هو أسمى منها. فيصاب جميع أصحابها بالترفع، لوجودهم على الأرض، وقياسهم حياتهم بمقياس الجسد، واتكالهم على أعمالهم، وعدم تفكيرهم بمن هو غير مدرك.

📖 وما داموا يتخبطون في هذه الأمواج، فلا مفر لهم من المعاناة.

📖 أما القديسون: فيتممون الفضيلة الإلهية المجيدة (التواضع)، ويهتمون بالأمور العلوية، ولا يتركون أفكارهم تتخبط في اكتشاف الأمور الدنيوية الباطلة. ولأنهم يسيرون في النور، لا يمكن أن يضلوا.

📖 أما البعيدون عن نور معرفة ابن الله، فيسلكون هذه الطرق.

📖 هذه هي المرتبة الأولى للمعرفة، التي يسلك فيها الإنسان بشهوة الجسد. إننا نذمها لا لأنها مضادة للإيمان وحسب، بل لكل أعمال الفضيلة.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والستون ـ صفحة ٢٣١ ـ ٢٣٢

المقالة الرابعة والستون

في المرتبة الثانية للمعرفة

📖 بعد أن يترك الإنسان المرتبة الأولى للمعرفة {الجسدية} ويسير نحو هواجس نفسه ورغباتها، يتمم الصالحات السابق ذكرها، بإلهام أفكار النفس ونورها، وبمؤازرة الحواس الجسدية.

📖 هذه الصالحات هي: "الصوم، الصلاة، الإحسان، مطالعة الكتاب المقدس، طرق الفضيلة، مصارعة الأهواء، وغيرها".

📖 لأن كل الأعمال الصالحة، والصفات الحسنة المنظورة في النفس، والطرق العجيبة التي تقام في حظيرة المسيح، يتممها الروح القدس في المرتبة الثانية للمعرفة (النفسية) بفعل قوتها.

📖 هذه المعرفة تفتح الطرق أمام القلب، فنهتدي إلى الإيمان، ونعد زاداً للدهر الحقيقي. لكنها تبقى معرفة جسدية، ومركبة، لأنها تعتبر طريقاً هادياً، ومرشداً إلى الإيمان.

📖 وتوجد مرتبة أسمى منها، يمكن للإنسان أن يبلغها إذا أظهر تقدماً، ووضع لها أساساً عمل السكينة البعيدة عن الناس، والحافلة بمطالعة الكتاب المقدس، والصلاة، والأعمال الأخرى الصالحة، التي تتم في المرتبة الثانية للمعرفة، والتي تتولد منها كل الخيرات، وندعوها "معرفة الأشياء" لأنها تكمل عملها وسط الأشياء المحسوسة من خلال الحواس الجسدية. آمين.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والستون ـ صفحة ٢٣٣

المقالة الخامسة والستون

في المرتبة الثالثة للمعرفة وهي مرتبة الكاملين

📖 اسمع كيف يصبح الإنسان شفافاً، ويصل إلى المرتبة الروحية، ويصبح شبيهاً بسيرة القوات اللامنظورة التي تخدم الله بالعمل، الصائر في الذهن، لا بالأعمال الحسية.

📖 عندما ترتفع المعرفة عن الأرضيات، وعن الاهتمام بأمورها، وتبدأ بمراقبة الأفكار المخبأة داخل عينيها، وتزدري الأشياء التي ينشأ منها انحراف الأهواء، وترفع ذاتها إلى فوق، وتتبع الإيمان باهتمامها بالدهر الآتي، والشوق إلى ما وُعُدنا به، وفحص الأسرار الخفية.

📖 عندئذ يبتلعها الإيمان، ويحولها، ثم يلدها من جديد ـ كما كانت في البداية - فتصبح كلها روحاً. وعندئذ تستطيع التحليق إلى أمكنة اللامتجسمين، وأن تلمس عمق البحر غير المدرك، لأنها تفهم بأي طريقة عجيبة إلهية تُدار الطبائع العقلية، والحسية.

📖 وتفحص الأسرار الخفية، التي تُدرك بالذهن البسيط الشفاف، فتستيقظ الحواس الداخلية لعمل الروح، حسب نظام الحياة الأزلية العديمة الفساد، لأنها قد قبلت القيامة المدركة من خلال ما هو هنا، كما بسر شهادة حقيقية لتجديد الكل.

📖 هذه هي أحوال المعرفة الثلاث، المقابلة لأحوال الإنسان الجسدية، والنفسية، والروحية. والتي بواسطتها يبدأ التمييز بين الخير والشر. وما دام الإنسان في هذا العالم، فلا بد له من عبور هذه المراتب الثلاث للمعرفة.

📖 **ورغم تعدد درجاتها، تبقى المعرفة واحدة:**

📖 فهي {أي المعرفة الأرضية} التي تكمل كل ظلم وكفر، وهي {أي المعرفة الروحية} التي تعمل البر بملئه أيضاً. وهي التي تقترب من عمق أسرار الروح كلها، وبها تصير كل حركة في الذهن، مرتفعة

إلى الصالحات، أو هابطة إلى السيئات، أو باقية في المتوسطات. وهذه المستويات يدعوها الآباء حالات، ويقسمونها إلى حالة بحسب الطبيعة، وثانية بخلاف الطبيعة، وثالثة فوق الطبيعة.

📖 وهي المستويات التي تصعد وتنزل عليها، كما قيل ذاكرة النفس العاقلة. أي أن الإنسان إما أن يصنع البر بحالة طبيعية، أو أن يختطف إلى ما فوق الطبيعة إلى المشاهدة الإلهية، أو أن يخرج عن حدود الطبيعة، ويذهب لمرعى الخنازير، نظير الذي فقد غنى التمييز، فاشترك بالعمل مع جمهور الشياطين (الابن الشاطر).

موجز مراتب المعرفة الثلاث

📖 **مرتبة المعرفة الأولى:** {الجسدية ـ الأرضية} تجمد النفس {روحياً}، وتمنعها من السير في طريق الله.

📖 **والثانية:** {النفسية: التي تُجاهد في ممارسة الفضائل} تجعلها حارة، فتسير بسرعة لتبلغ درجة الإيمان.

📖 **أما الثالثة:** فاستراحة من الأعمال {الجسدية}، وصورة للمستقبل، لأنها تتمتع بنعيم أسرار الدهر الآتي، بتأمل الذهن فقط.

📖 وبما أن الطبيعة الكائنة في المرتبة الثانية، لا تقدر أن ترتفع كلياً عن رتبة الفساد، وتطرح عنها ثقل الجسد، وتُكتمل بالمرتبة الروحية الأعلى. بل تميل تارة نحو اليمين، وطوراً نحو اليسار، فإنه من المستحيل أن تبلغ الكمال ـ الذي لا ينتهي عمله أبداً ـ وأن تتخلى عن عالم الفساد، وأن تزدري طبيعة الجسد كلياً.

📖 فما دام الإنسان يعيش في الجسد، فإنه خاضع للتقلب بين هذا وذاك.

📖 وما دامت نفسه فقيرة، وبائسة، فإنها تبقى في مرتبة الفضيلة الثانية المتوسطة، الموضوعة في الطبيعة للعمل بالجسد.

📖 إذا بقيت النفس في هذه الحالة، قد تنال نعمة الروح من حين إلى آخر، وتتمتع بها بمقدار ما يسمح لها المُعطي، شأن أولئك الذين حصلوا على نعمة التبني بسر الحرية. إلا أنها لا تلبث أن تعود إلى ممارسة أعمالها الوضيعة، أي الجسدية.

📖 فالمعرفة المتوسطة {النفسية} تحفظ عادة هذه الأعمال الحاصلة من حين إلى آخر، لتقي بها النفس من العدو، فلا يسلبها، ويخدعها بحيله الغاشة، الكائنة في هذا العالم الشرير، أو بالأفكار المتشوشة، والمتأرجحة. وما دام الإنسان مقتنعاً بالجسد، فإنه لن يحصل على الثقة. فلا حرية كاملة في دهر غير كامل.

📖 إن فعل المعرفة يحث على العمل، والاهتمام.

📖 أما فعل الإيمان، فلا يتم بالأعمال، بل بالأفكار الروحية، وبعمل النفس المجرد الذي يفوق الحواس.

📖 وكما أن المعرفة أكثر دقة من الأشياء المحسوسة، فإن الإيمان أكثر دقة من المعرفة. وجميع القديسين الذين استحقوا هذه السيرة - التي هي ذهول بالله - عاشوا بقوة الإيمان، متمتعين بنعيم تلك السيرة الفائقة الطبيعة.

📖 ولا نعني بالإيمان هنا: الإيمان الشفوي بالأقانيم الإلهية، المميزة، والمسجود لها. وبطبيعة الألوهة الخاصة، وبالتدبير العجيب الصائر في الإنسانية بواسطة طبيعتنا (سر التجسد).

📖 وإن كان هذا الإيمان سامياً جداً، إنما نعني الإيمان المشرق في النفس بنور النعمة، والذي يثبت القلب بشهادة الذهن، ويبقى غير متزعزع في يقين الرجاء، البعيد عن كل حدس.

لأن هذا الإيمان لا يكشف ذاته بسماع الاذن، بل يُعلن - من خلال الأعين الروحية - الأسرار الخفية في النفس، والغنى الإلهي المحجوب عن عيون أبناء الجسد، والمعلن بالروح لأولئك الذين يتناولون الطعام على مائدة المسيح، والذين يهذون بناموسه.

حسب قوله تعالى: "إن حفظتم وصاياي أرسل إليكم المعزي، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، وهو يعلمكم الحقيقة كلها" (يو١٤: ١٥ - ١٧).

هذا المعزي يكشف للإنسان تلك القوة المقدسة الساكنة فيه كل حين، والستر، والقدرة العقلية التي تستره دائماً، وتطرد عنه كل أذى قد يقترب من نفسه، أو من جسده، يحس الذهن المستنير بأعين الإيمان، بهذه القدرة التي أدركها القديسون إلى حد كبير بخبرتهم.

هذه القدرة هي المعزي نفسه، الذي يلهب مفاصل النفس، بقوة الإيمان كما بنار، ويجعلها تندفع مزدرية كل الأخطار، ومتدرّعة بالرجاء بالله، ومرتفعة عن الخليقة المنظورة بأجنحة الإيمان، وسكرى بدهش الاهتمام الإلهي، ومروّضة ذهنها على ممارسة الهذيذ في خفاياها، عن طريق المشاهدة البسيطة (غير المركبة) وإدراك الطبيعة الإلهية غير المنظورة

وحتى مجيء زمن كمال الأسرار، وبلوغنا استحقاق إعلانها بوضوح، يبقى الإيمان وسيلة لخدمة الأسرار، التي لا توصف، والتي تربط القديسين بالله.

عسى أن تؤهلنا لها نعمة المسيح، عربوناً في هذه الحياة، وحقيقة في ملكوت السماوات مع محبيه. آمين.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الخامسة والستون ـ صفحة ٢٣٤ ـ ٢٣٦



المقالة السادسة والستون

في أحوال ومعان وصفات أخرى للمعرفة

إن المعرفة التي تبقى ملتصقة بالمنظورات، أو التي تُدرك الأشياء بالحواس، تدعى معرفة طبيعية.

والمعرفة التي لا تفارق الطبائع اللامتجسمة، سواء كان ذلك بمساعدة الكائنات المعقولة، أم من خلال مشاهدتها الداخلية، تدعى معرفة روحية، لأنها تُدرَك بالروح، وليس بالحواس الجسدية. هاتان الحالتان اللتان يحصل بهما الإدراك، يتم فعلها خارج النفس.

أما المعرفة الصائرة بفعل القوة الإلهية، فإنها تدعى معرفة فوق الطبيعة، وهي غير مدركة، وبالتالي أسمى من أنواع المعرفة الأخرى.

إن مشاهدة هذه المعرفة، لا تتلقاها النفس من خلال المادة الموجودة خارجها، حسب نظام المعرفتين الأوليين، إنما تظهر فيها من الداخل مجاناً، بطريقة لاهيولية {غير مادية} سريعة، وغير متوقعة، وتُعلن من الداخل: "لأن ملكوت السماوات في داخلكم". (لو ١٧: ٢١). ولا ننتظر رؤيته، ولن يأتي علانية، حسب قول المسيح، بل يُعلن في سر الذهن بدون سبب، وبدون التأمل فيه، لأن الذهن لا يجد فيه أي مادة.

المعرفة الأولى: تأتي بالتفتيش المستمر، وبالتعلّم، والاجتهاد.

والمعرفة الثانية: تأتي بالسيرة الصالحة، وبإيمان الذهن.

أما المعرفة الثالثة: فهي ميراث الإيمان فقط.

إن الإيمان يبطل المعرفة {الجسدانية ـ الأرضية} ويضع حداً لأعمالها، وتصبح الحواس غير ضرورية {لتلقي المعرفة}. وبمقدار ما تتراجع المعرفة عن حدودها تكرم، ويزداد إكرامها بمقدار ما يزداد تراجعها. ومتى بلغت الأرض تصبح سيدة الكل، وعندئذ يكون كل شيء منحلاً وباطلاً بدونها.



📖 أما عندما تَرفع النفس رؤيتها نحو العلاء، وتبسط أجنحة أفكارها نحو السماوات، وتشتهي الأمور التي لا تُشاهد بعيني الجسد، والتي لا سلطة للجسد عليها، فعندئذ ترى الكل متحداً بالإيمان، الذي نرجو أن يهبنا إياه الرب يسوع المسيح المبارك، إلى دهر الدهور. آمين.
كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والستون ـ صفحة ٢٣٧

{٢}

القديس يوحنا السلمي

📖 الله هو لجميع الذين يختارونه، وكذلك الحياة والخلاص فهما لجميع الناس، مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين، عادلين أو ظالمين، أتقياء أو كافرين، خطاة أو صديقين، رهبانا أو علمانيين، حكماء أو بسطاء، أصحاء أو مرضي، إحداثا أو شيوخا، وذلك على غرار اندفاق النور وشروق الشمس وتوالي فصول السنة من اجل الناس كافة على السواء، نعم وليس الأمر على خلاف ذلك لأنه: «ليس عند الله محاباة». الإيمان الوطيد يؤول إلى، الزهد في العالم، والعكس بالعكس.

📖 آه - من يعتنق الإيمان القويم، ويستمر في ارتكاب الخطايا، يشبه وجها لا عينين له، ومن لا إيمان له، وان عمل بعض الصلاح، يشبه من يستقي ماء، ويصبه في خابية {جرّة ضخمة للزَّيت أَو الخَمْر ونحوهما} مثقوبة.

{٣}

القديس مار فليكسينوس

📖 الـذي يريد أن يدنو بترتيب لتدبير سيرة تلمذة المسيح ينبغـي له قبل كل شئ، أن يقتنى لنفسـه إيمانـا حقيقيا فيصدق اللـه، ولا يفحص أعماله وكلامه، ويحفظ وصاياه ولا يفتش عن طبيعته.

📖 إن كنت تتقدم إليه فالدنو منه لا يكون بطلب الكلام الـذي يبحث كيف هو، وبماذا تشبهه، بل أن تحفظ وصايا اللـه، وتكمل سنن وشرائع الملكوت التـي فرضت علينا، وهذا كله يكون بالإيمان، كل شئ روحـاني بل جميع عالم الروحانيين، إنما ننظره ونحس به بالإيمان، فإن لم نقتن إيمانـا في أنفسنا، فما يمكننا أن نفهم شيئا خارجا عما ننظره بأعيننا، لأنها جسدية، وبالجسد ينظر الإنسان إليها، وأمـا عالم الروح فيحس بالإيمان فقط.

📖 لأن هذا هو طبع الإيمـان، أن الشئ الذى لا ينظر ينظر، والـذي لا يعرف يعرف. وليس فـي الإيمان أفكار تناقض بعضها البعض، ولا ضمائر تبطل بعضها البعض.

📖 ولذلك كل من يريد الدنو بترتيب وحسن نظام، فبـالإيمان ينبغـي له أن يبدأ. الله قادر أن يجددك، ويجعلك من عتيق جديد، وليس تجديد إن لم يأخذ منك الإيمان رهينة. فالأسرار أشياء ساذجة بدون الإيمان.

📖 والعجائب حقيرة إن لم تنظرها عين الإيمان.

📖 ينبوع فيض الإيمان هو العقل النقي والفكر البسيط.

📖 الإرادة هي سلطة الإيمان، كبقية الحركات الطبيعية التي فينا.

📖 الإرادة تقلب الأمور الجيدة إلى ضدها.

📖 استعمل الإيمان بترتيبه الحسن ولا تقلبه للضلالة.

📖 آمن باللـه وصدق مواعيده ولا تصدق العـالم ولا مغرياته.

📖 إن لم تصدق الأشياء غير المنظورة فلا تستطيع أن تترك الأشياء المنظور. مادامت عـين إيمانك، تتفرس فـي المزمعات، فستخف عنك جميع أتعاب سيرتك.

🕮 كمثلما تنجو الأرجل من العثرة، مادامت العين مفتوحة، هكذا يبتعد الكسل، ويعدم من النفس، مادام نظر الإيمان صحيحا.

{٤}

توما الكمبيسي

🕮 من كانت عنده كل الأشياء واحدا، ورد كل شيء إلى واحد، ورأى كل شيء في الواحد، يستطيع أن يكون ثابت القلب، وأن يستمر في الله بسلام.

إن كل أمل وثقة
إنما يجب ان يوطدا في الله وحده

🕮 1-التلميذ: ربّ، ما هو متكلي في هذه الحياة؟

🕮 وما هي أعظم تعزيةٍ لي، من كل ما يبدو تحت السماء.

🕮 أليس إياك أنت أيها الرب إلهي، الذي لا إحصاء لمراحمه؟

🕮 أين كانت أحوالي حسنة بدونك؟ أم متى ساءت بحضورك؟

🕮 إني أوثر أن أكون فقيرا لأجلك، على أن أكون غنياً بدونك.

🕮 وأفضل التغرّب على الأرض معك، على امتلاك السماء بدونك.

🕮 حيث انت فهناك السماء، وحيث لست أنت، فهناك الموت والجحيم. أنت موضوع بغيتي، فلا بد لي من السعي وراءك بالتنهد والصراخ والتضرّع.

🕮 أخيرا، ما من ٍ أحد يمكنني أن أتكل عليه كل الاتكال، ليساعدني في حاجاتي، وفى الوقت المناسب، إلاك أنت وحدك يا إلهي. أنت رجائي أنت متكلي، أنت عزائي، أنت الأمين ً جدا في كل شيء.



2- الجميع يلتمسون ما هو لأنفسهم، أما أنت فلا تقصد سوى خلاصي وتقدمي، محولا لي كل شيء إلى خير.

إنك، وإن جعلتني عرضة لمختلف المحن والشدائد، فإنما توجه كل ذلك إلى نفعي، لأنك على ألف وجهٍ قد اعتدت أن تمتحن أحباءك.

وأنت، في امتحانك هذا، لست بأقل استحقاقاً للمحبة والتسبيح، مما لوكنت ملأتني من التعزيات السماوية.

3- ففيك إذن، أيها الرب الإله، أجعل كل رجائي وملجاي، وعليك ألقي كل شدائدي ومضايقي، لأن كل ما أراه، خارجاً عنك، إنما أجده واهياً غير ثابت.

فكثرة الأصدقاء لن تنفعني، وليس بوسع المناصرين الأشداء أن يعينوني، ولا المشيرين الفطناء أن يعطوني جواباً مفيدا، ولا كتب العلماء أن تعزيني، ولا شيء نفيس أن ينجيني، ولا مكان خفي أن يقيني، إن لم تعضدني أنت نفسك وتنصرني، وتقوني وتعزني، وترشدني وتحفظني.

4- فإن كل ما يبدو صالحاً لإنالة السلام والسعادة، ليس بشيء من دونك، ولا يولي، في الحقيقة، شيئاً من السعادة.

فأنت إذن غاية جميع الخيرات. أنت ذروة الحياة وعمق الكلام.

وأعظم تعزيةٍ لعبيدك، إنما هي الاتكال عليك، فوق كل شيء.

إليك عيناي! إلهي عليك توكلت يا أبا المراحم.

إلتفت ّ إلى بحسب وفرة صلاحك، وكثرة مراحمك، واستجب صلاة عبدك البائس، المنفي بعيدا في بقعة ظلال الموت!

إحفظ وصن نفس عبدك المسكين، فيما بين كثرة الأخطار التي تعتور هذه الحياة الفانية، لتصحبه نعمتك وتهده في طريق السلام، إلى وطن النور الدائم، آمين.

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ السفر الثالث ـ صفحة ٣٨٦ ـ ٣٩٠



{٥}

القديس ثؤفان الناسك

📖 إن كنا نسلح قلبنا بثقة حية فيه، ويقين لا يهتز، فسنأخذ معونة من لدنه كقول المزمور "الرب عزى وترسى، عليه اتكل قلبي فانتصرت" مز ٢٨:٧، والأفكار التالية تساعدك على هذا الرجاء، فتنال المعونة:

📖 ا - إننا نطلب معونة الله القادر على كل شيء، والذي يستطيع أن يفعل كل ما يريد ولذا يقدر أن يعيننا.

📖 **ب** - إننا نطلب معونة الله الحكيم والعليم بكل شيء، إنه يعلم كل شيء بأكمل طريقة، ولذا يعرف جيدا ما هوالنافع لخلاص كل واحد منا.

📖 **ج** - إننا نطلب معونة الله الخير بصورة لا نهائية ... لأنه كيف يمكن أن راعينا الصالح الذي ذهب ليبحث عن الخروف الضال لمدة ثلاث سنين، مناديا عليه بصوت عال حتى بح صوته، سالكا طرقا وعرة مملوءة أشواكا حتى أنه أهرق كل دمه وأسلم حياته، فإن اتبعه الخروف الآن، راجعا إليه وترجى معونته، كيف يمكن، أكرر مرة أخرى أن يحول نظره عنه؟

📖 ولا يأخذ خروفه الضال في أحضانه الإلهية!... مقيما وليمة ترحيب من أجله؟ وإن كان الله لا يتوقف أبدا عن أن يبحث بحب واجتهاد عن الخاطئ الأعمى الأصم {مثل المرأة الباحثة عن الدرهم المفقود في الإنجيل}.

📖 **د -** أستعيد في ذاكرتك، كل أمثلة المعونة الإلهية كما هي معروضة في الأسفار المقدسة، وما أكثرها. يقول ابن سيراخ الحكيم: "تأملوا في الأجيال الأولي وانظروا من توكل على الرب فخزي" سى ٢:١٠

📖 حياة التسليم والخضوع:

📖 إن كنت تتحمل شدة معينة بشكر، فاحترس لئلا يجربك العدو بخداع لتطلب التخلص منها عن طريق محبتك لذاتك، وينجح في ذلك، وخسارتك آنذاك ستكون مزدوجة.

📖 **الخسارة الأولي:** ستفقد فضيلة الصبر التي عندك، لأنه بالرغم من حسن منطق رغبتك في التحرر من الشدة، إلا أنه عندما لا تتحقق هذه الرغبة بضعف صبرك، رويدا رويدا، وأخيرا يصل إلى حالة شكوى وتذمر.

📖 **الخسارة الثانية:** إنك تضيع أجرك الذي كنت ستناله لو تحملت الشدة بقلب راض، لأنك منذ اللحظة التي أجبرت فيها على الصبر، لا يحسب لك أجر، لأن الله لا يكافئ ولا يسر، إلا بمن يعطى، أو يحتمل عن اختيار وحرية.

📖 كما أن مجرد رغبة التخلص من الشدائد، لا يخلص الشخص منها، فمن تلك اللحظة يكون احتمالك عن جبر وارغام، فيكون احتمالك بلا جزاء. إن الله سيجازيك عن احتمالك الشدائد، من الوقت الذي احتملتها فيه بقلب راض، غير باحث عن النجاة.

📖 اطرد فكر التخلص من الضيقة:

📖 لذلك يا اخى أخمد رغبة التخلص من شدتك، واطردها بمجرد شعورك بها، وسلم نفسك كلية لإرادة الله الكلية الخير، مظهرا استعدادك لتتحمل أحزانا أكثر مائة ضعف، إن أراد الله وأرسلها

عليك. وحتى لو انتهت شدتك الحاضرة في ساعة، أو أقل، سيعتبرها الله جدا، ويقدرها كأمر عظيم وسيكافئك عنها خير الجزاء.

📖 طبق هذه القاعدة في كل امور حياتك، لا تستسلم لأهوائك، بل احكمها كما بلجام، متوجها بها قسرا نحوالهدف الرئيسى الوحيد، وهو أن تبقى داخل نطاق إرادة الله، وتتقدم بحسب مشيئته.

📖 حينئذ ستكون كل رغباتك صالحة، وحق، وستظل هادئا في تجاربك، متذوقا عمق السلام في إرادة الله. لو آمنت بكل إخلاص أنه لا يمكن أن يحدث لك شيء إلا بإرادة الله، وإنِ كانت رغبتك الوحيدة هي أن تنفذ مشيئة الله بكل طاقتك، فمن الواضح تلقائيا أنه سوف لا يوجد أي شيء يحدث لك إلا وتتقبله برضى.

📖 عندما أقول إنه لا شيء يحدث لك إلا بإرادة الله، فأنا أعنى الشدائد، والعوز، والحرمان، تلك التي يرسلها الله إما لينبهنا، ويعلمنا، أو ليعاقبنا على خطايانا، ولكنى لا أعنى خطاياك أنت، أوخطايا البشر، حيث أن الله لا يحب الخطية.

📖 هذه التجارب نافعة لنا، وقد دعيت بحق صليب إنقاذ، ذاك الذي يضعه الله دائماً على أحب محبوبيه، وعلى أولئك الذين يتوقون إلى رضاه، واحتمال ذالك الصليب، أمر يسر الله جدا ويبهج صلاحه.

📖 وعندما قلت: لا يجب أن ترغب في التخلص من الشدائد، ينبغى أن يفهم هذا القول على ضوء مشاعر التسليم الكامل لإرادة الله.

📖 نحن لا نقدر إلا أن نرغب في التخلص من الأحزان، ولا يمكن تفاديها، لأن الله ذاته قد وضع في طبيعتنا رغبة العيشة الكريمة، ولذلك احتوت الصلاة التي علمها لنا لا تدخلنا في تجربة، تلك التي نكررها مرات عديدة في اليوم.

📖 فإن كان الله بعد ما سمع بلا شك هذه الصلاة، يرسل لنا حزنا، فمن الواضح أنها إرادة خاصة يجب علينا طاعتها نحن خليقته الواعية للواجب المفروض عليها، والتسليم لها بقلب راض، واحتمالها كشئ أساسى لخلاصك وخلاصى. ففى تكرار الصلاة لا تدخلنا في تجربة، نعنى أيضا ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت {مت ٢٦:٣٩} مقتدين بمخلصنا الصالح.

📖 أي ردد الصلاة الربانية، ليس كأنك نافر من التجارب، وتود لو تجنبتها بأى ثمن، ولكن لأن الرب أمرنا أن نصلى كذلك، وكن مستعدا في أعماق نفسك أن تقابل كل ما سر الله أن يرسله لك بقلب راض، وارفض الانقياد وراء رغبة حب الذات، طامعا في حياة كريمة لا تنقطع، فإن هذه الحياة مستحيلة على الأرض لأنها خاصة بالحياة الأبدية المستقبلة.

كتاب المحاربات الروحية ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٨ ـ ٤٠

التسليم لمشيئة الله

📖 عندما يتوب إنسان، يسلم نفسه كلية لخدمة الله.

📖 ويبدأ على الفور هذه الخدمة بالسلوك في وصاياه وإرادته.

📖 هذا العمل يبدأ في {عرق الجبين}.

📖 إن الوصايا ليست صعبة في حد ذاتها، ولكن هناك عقبات كثيرة لتنفيذها، في ظروف الجهاد الخارجي، وبالأخص في ميوله {الإنسان}، وعاداته الداخلية. لكن المجاهد القوى يغلب كل شيء بمعونة الله، ويصل في النهاية إلى السلام الداخلي، وتسود السكينة في كل ذاته وأموره. إن المجاهد يعمل بنفسه، بالرغم من معونة الله له.

📖 ولكن خبرة الأيام الأولي تجعله يتحقق، أنه بالرغم من كل محاولاته لإجراء أي شيء صالح يجرى فيه، لا يكون هو، بل قوة أعلى منه. وكلما تقدم في الروحيات، كلما رسخ هذا الاعتماد عنده،

وتأصل فيه جدا. وعندما يحل في الداخل سلام، يشتد هذا الاعتماد، ويتحول إلى عقيدة. ويصل في الكاملين إلى التسليم الكامل لإرادة الله، والخضوع الكلى لتأثيره.

📖 ويظهر أثر هذا التأثير واضحا، كلما تحول المحارب أكثر فأكثر من ذاته، واستسلم لله، متحققا أن كيانه لا يكون إلا في الثقة بقوة الله.
📖 وعندما يسلم نفسه لله كلية، في النهاية يكون حضور الله فيه ذات فاعلية، سواء في إرشاده عما يجب أن يعمله، أوفي إنجازه. هذه هي قمة الكمال المسيحى، "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا" في ٣:١٣. كما قيل منذ البدء، أن بذرة هذا الكمال كائنة في عدم الاعتماد على النفس، والرجاء بالله. إن ما يحويه جوهر التسليم الكامل لإرادة الله، يمكن معرفته حينما يتضح في قوته.

📖 إنه يأتى من نفسه، ولا يوجد هنا قواعد معينة لبلوغة، لذلك مستحيل أن نقول: افعل هذا، أو افعل تلك وستناله، إنه ينمو دون أن نشعر في حالة عدم الاعتماد على الذات، والرجاء بالله.
📖 لقد ذكرتها هنا مختصرة ببساطة، لأنها ذكرت في مكان آخر.
📖 وما قبل في نهاية الفصل السابق في تقديم الإنسان نفسه ذبيحة لله فرصة لتذكره الآن. فالتسليم الكامل لإرادة الله هو تقديم الإنسان نفسه ذبيحة لله.

📖 التسليم في حياة الرب على الأرض

📖 وبرهان هذه الحالة هو الموت عن الذات، عن الإرادة الذاتية، والرغبات والمشاعر والمذاقات الغريبة، كي نعيش في الإدراك الإلهي، بحسب إرادة الله، وفى شركة معه.

ونحن فيه لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه {أف ٥:٣٠}، لذلك فلنسرع في أثر خطواته حيث قدم لله الآب قداسة من أجلنا {يو١٧:١٩} كي نكون على مثاله ونعمل هكذا.

لماذا صنعت هذه الذبيحة في النهاية، وليست من البداية؟

لأن تقدمة الله ينبغي أن تكون كاملة بلا عيب.

ولأن الكمال يفتكر فيه في البداية، ولكن لا يتوصل إليه، ولكن عند بلوغه في النهاية، من المناسب تقديم الذات كذبيحة، ولا يكرس الإنسان نفسه لهذه الذبيحة، ولكن في النهاية يقدم ذبيحة نفسه.

حقا إنه مستحيل أن يقدم الإنسان نفسه ذبيحة محرقة، قبل بلوغه الكمال. يمكن تقديم تقدمات أخرى مثل تقدمات المصالحة.

تقدمات النقاوة، والشكر. ولكن ليست تقدمة المحرقة.

يمكن لشخص أن يسعى لبلوغها، ولشخص أن يتحدث عنها، ولكنها تكون كلاما وليست فعلا عمليا، لأن هذا الفعل يتم بلا كلام.

العقبات في طريق التسليم

اعلم أنك مادمت مرتبطا بأمر أرضى، مادمت مستندا على شيء {خارج عن نفسك} غير الله، مادمت تجد تعزية في مخلوق آخر، وتلتذ به، فأنت غير مناسب لذبيحة المحرقة. حاول أولا أن تترك كل هذا.

أوقف كل حياة فيك، ولا تبقى إلا حياة واحدة، حياة الله، أي لا تعش أنت فيما بعد، بل الله ربنا يسوع المسيح، والروح القدس يعيش فيك، حينئذ أصعد ذاتك ذبيحة لله.

وإلى أن يحدث هذا، قدم لله روحا منسحقة، قلبا منكسرا متواضعا، واقنع بهذا لفترة معينة، ولكن ليس إلى الأبد.

لأنك في النهاية عليك أن تقرب ذاتك كلية كصعيدة طاهرة للرب.

كتاب المحاربات الروحية - الجزء الرابع - صفحة ٣١ - ٣٤



حياة التسليم

📖 **اترك نفسك لله:**

📖 ثق في الله يا أخى، الذي يدعو كل الناس قائلا: "تعالوا إلى يا جميع المتعبين ... وأنا أريحكم" مت ١١:٢٨. واتبع ذلك الصوت الذي يدعوك، راجيا مجئ الروح القدس في نفس الوقت إلى داخلك.

📖 غص بأعين متأملة في بحر العناية الإلهية والرأفة. دع أمواج إرادة الله تحملك، بلا مقاومة من إرادتك الخاصة، فتحمل سريعا إلى ميناء الخلاص، ومرفأ الكمال المسيحى.

📖 تدرب على هذا مرات عديدة يوميا، وأطلب الخلوة الخارجية والداخلية، على قدر ما تستطيع، كي تركز كل قوى نفسك للتداريب، التي لها قوة خاصة في أحداث حب قوى لله في قلبك، مثل: الصلاة، وترديد الاسم العذب الذي لربنا ومخلصنا بلا انقطاع، أو الدموع التي تنهمر من الحب له، أو العبادة الحارة، والأعمال الروحية الأخرى.

📖 دع هذه الأعمال تكمل فيك دون جبر، أو غصب القلب، لئلا تجبر نفسك بتداريب إجبارية وتتقسى، وتصبح غير قادر على قبول تأثير النعمة. أطلب النصيحة من المختبرين في هذا الأمر، وبمساعدتها اجتهد لأن تكسب عادة التأمل في قداسة الله، واحساناته العديدة.

📖 تقبل باتضاع قطرات الشهد التي تتساقط داخل نفسك من صلاحه، الذي لا ينطق به.

📖 **التسليم في انتظار الرب:**

📖 ولكن لا تلح على الله سائلا هذه الإيضاحات من تحننه، بل أبقى متواضعا في سكينتك الداخلية، منتظرا إرادة الله أن تكمل فيك، وعندما يمنحها لك الله دون توتر من جانبك، ستختبر عذوبتها ولذتها.

اعلم أن المفتاح الذي يفتح بيت الكنز المخفى للهبات الروحية في المعرفة، والمحبة الإلهية، هو الاتضاع، وبذل الذات، وتسليم النفس لله كل حين، وفى كل شيء.

بنفس المفتاح يغلق باب الجهل، والبرودة الروحية.

التسليم في السكون:

حب بقدر ما تستطيع، وبسكون قف مع مريم عند قدمى ربنا يسوع المسيح، لتسمع ما يقوله لنفسك.

احترس لئلا يعوقك العدو، ولتعلم أن نفسك هي أكثر أعداؤك، ضد هذه الاعمال المقدسة، في سكون أمام الله.

عندما تبحث عن الله بذهنك، لتستريح في الله، لا تحدد له أي مكان، أوحدود بحسب خيالك الضيق المضل، لأنه غير محدود، وهوفي كل مكان، وفى كل الأشياء.

أوبالحري كل الأشياء منه، ستجده داخلك، في نفسك، في كل وقت تطلبه بحق، الله نفسه يريد أن يكون معنا نحن البشر، ليجعلنا مستحقين له، رغم أنه غير محتاج إلينا.

التسليم في القراءة:

عندما تقرأ الكتاب المقدس، لا تضع في ذهنك أن تقرأ صفحة بعد صفحة، ولكن أمعن النظر في كل كلمة.

عندما تجعلك بعض الكلمات تغوص في أعماق نفسك، أوتحثك على الندامة، أو تملأ قلبك بفرح وحب روحانى، أطل في الوقوف عندها. هذا يعنى أن الله يقترب منك، استقبله باتضاع، وبقلب مفتوح، كما يريدك أن تشاركه.



ان كان بسبب هذا لم تكمل فروضك الروحية، لا تقلق، لأن الغرض من هذا، كما من التداريب الروحية، هوأن تستحق أن تشارك الرب، وعندما يحدث، هذا فلا مجال للقلق بالنسبة للوسائل.

بنفس الطريقة عندما تتأمل في بعض الموضوعات الإلهية، لاسيما بعض أمثلة من آلام ربنا يسوع المسيح، أطل الوقوف عند الجزء الذي يلامس قلبك، واحفظ انتباهك مدة أطول عليه، كي يطول معك هذا الشعور المقدس.

التسليم في قانون العبادة:

توجد عقبة كبيرة في سبيل حفظ السلام الداخلي، وهي أن تلزم نفسك بقانون ثابت لا يتغير. فتفرض على نفسك أن تقرأ مزامير كثيرة، وإصحاحات عديدة من الأناجيل والرسائل.

أولئك الذين يضعون لأنفسهم مثل هذه القوانين، دائماً مهتمين كي يكملوا قراءاتهم، لا يهمهم إذا كانت القراءة تمس القلب، أم لا، أو إذا كانت هناك أفكار روحية، وتأملات قد ملأت أذهانهم أم لا.

وعندما يفشلون في تكميل القراءة، يضطربون، ويقلقون، ليس لأنهم حرموا من الثمرة الروحية للقراءة، ولكن ببساطة، لأنهم لم يقرأوا كل ما أقروا أن يقرأوه.

استمع إلى ما يقوله مار إسحق عن هذا: "إن كنت تريد أن تتمتع في قراءة الآيات، وتفهم كلمات الروح التي تتلوها. دع عنك الكمية، وعدد الآيات، كي ما يمتص عقلك في دراسة كلمات الروح، حتى يمتلئ من الدهش في الناموس الإلهي، وتتحرك نفسك بالمفاهيم السامية عنها.



الاندفاع لتسبيح الله بروح العبودية، لا يجلب سلاما للذهن، والقلق عادة يبعد التمييز والفهم من قوة التذوق، كدودة العلق التي تمتص الحياة من الجسم كله مع دم أعضائه".

إن أردت بإخلاص أن تنتهى حياتك الحاضرة نهاية فاضلة، لا يكن لك هدف آخر سوى أن تجد أن الله أينما اختار أن يعلن نفسه لك.

عندما يتوقف هذا الهدف يتوقف كل نشاط آخر فيك، ولا يمكن أن تستمر في طريق الله.

التسليم في التداريب الروحية:

انس كل شيء واسترح في إلهك وحده.

عندما يشاء الممجد {ﷲ} أن يبتعد عنك، ويوقف اقترابه إليك في فترات حاضرة، عليك أن تعود إلى تداريبك الروحية العادية وتستمر، جاعلا في نفسك الهدف ذاته أن تجد حبيبك عن طريقها، وحين تجده مرة أخرى افعل ما قلته من قبل، أي توقف حيثما أنت كي تستريح فيه وحده.

اعتبر جيدا ما قلته لك، لأن كثيرين عن طريق اهتمامهم بالأعمال الروحية، حارمين أنفسهم من ثمار السلام التي تحفظهم، حرموا من أعمالهم الروحية، لأنهم في الواقع، خوفا من الخسارة إن فشلوا في تكميلها، أقنعوا خطأ أن الكمال الروحي في هذه الأعمال فقط، وهكذا تبعوا إرادتهم الخاصة، فضيقوا وعذبوا أنفسهم كثيرا، ولكنهم لم ينالوا هدوءا، ولا سلاما داخليا، حيث يسكن الله حقا، ويجد راحته في الإنسان.

كتاب المحاربات الروحية - الجزء الرابع - صفحة ٨٣ - ٨٧



{٦}

القديس الأنبا برصنوفيوس

🕮 الإيمان بالله هو أن يسلم الإنسان نفسه له، فلا يكون له أيضا عليها سلطان، والذي ليس له على نفسه سلطان {ليدبر نفسه} فهو تحت سلطان الله {ليدبره}، وعليه يتكل، ويلقى نفسه إلى آخر حياته، وكل ما يأتي عليه يقبله من الله بشكر، وهذا قول الرسول وأن "اشكروا في كل شيء"، وأن كره الإنسان ما يأتي عليه من الله، فقد عصى، وأراد أن يقيم هوى نفسه.

🕮 **سؤال:** أن أنا زرت أناس، ولم يقبلوني، ولم يضيفوني البته، وكنت تعبا جدا من شقاء الطريق وأحتاج طعام؟

🕮 **الجواب:** تذكر من هو الذي يهتم بالكل! فان شاء ذلك يحققه في قلوبهم، وان لم يقبلوك فعلم أن الله لم يشاء، وليس هم السبب، لأن جميع الأشياء، هي المقصود بها امتحان الإنسان، وهو يصبر، ويعود بالملامة على نفسه، ويعلم أنه غير مستحق؟!

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته واقواله ـ صفحة ٦٤ و٦٥



🕮 **كيف نتحاور عن الإيمان:**

🕮 إن لم تستطيع أن تجادل حول الإيمان، لا تحاول، إن كان أحد ثابتاً في الإيمان فإنه لا يقحم نفسه في مناقشات ومجادلات مع هراطقة، أو غير مؤمنين، لأن يسوع رب السلام ساكناً فيه، بعد مناقشة هادئة مملوءة سلاماً يمكن لمثل هذا الإنسان بمحبة أن يجتذب كثيراً من الهراطقة، وغير المؤمنين إلى معرفة مخلصنا يسوع المسيح.

🕮 بالنسبة لك حيث أن مجادلة بعض الموضوعات يفوق إمكانياتك، فاحفظ الطريق الملوكي، أي الإيمان بمجمع الثلاثمائة وثمانية عشر الذي اجتمعوا في نيقية، والاعتقاد بما قرروه، وبما تعمدت عليه، فإن هذا الإيمان يحوي كل شيء، وينص تماماً على الفهم الكامل، ولكن

قبل كل شيء اهتم بنفسك، وافحص خطاياك، وتأمل كيف ستتقابل مع الله. حين يتحرك الحسد، تجلب الشياطين علينا عدم الإيمان.

📖 إن كنت تعرف أحداً يميل إلى نظريات الهراطقة، حثه على أن يتوافق مع الإيمان الحقيقي، لكن لا تجادل معه، ولا تطلب أن تسمع نظريات، لئلا تتأثر بسمومه، إن أظهر رغبة أن يسمع عن الإيمان الحق، آت به إلى الآباء القديسين القادرين أن يخدموه في المسيح.

📖 بهذه الطريقة تكون قد ساعدته في الله بدون ضرر لنفسك، ولكن إن كان بعد المرة الأولي، والثانية، التي خدمته فيها لم يتدارك خطأه، ففي ذلك تنطبق كلمات الرسول مثل هذا الإنسان يجب " أن تعرض عنه " {تي٣: ١٠}.

📖 لا تجادل في الإيمان، الله لا يطلب منك هذا، ولكن عليك أن تؤمن باستقامة فيما استلمته عن الكنيسة في المعمودية، وعليك أن تحفظ وصاياه، أحرص على هذا وأنت تخلص، إن سئلت قل "اغفروا لي يا آبائي القديسين فإن هذه الأمور أعلي مني".

📖 لا تفكر طويلاً فيما إذا كان الله لا يطلب منك أكثر من أن تقر بالإيمان الحقيقي، كما قلت سابقاً، ولا تكن فضولياً عن أمور فوق هذه.

الأنبا برصنوفيوس - سيرته وأقواله - صفحة ٩٢

📖 **٢٩- إجابة من الشيخ إلى الأب نفسه، مثبِّتًا إيمانه في الأمور التي وُعِد بها، ومن هذا اليقين يقتاده إلى حرارة {أو غيرة} أعظم:**

📖 **قُلْ للأخ:** الراحة، وكل عطية صالحة، وكل موهبة من النعمة الإلهية، تأتي للإنسان بالإيمان. إذن، فلا تكن فاقد الشعور، بالقوة التي تحلّ عليك كل يوم من الله بواسطة حقارتي، واعلم أنه لا يوجد أي استغرابٍ، ولو قليل، في مجيئك إلينا.

📖 إذن اركض نحوما هو موضوعٌ أمامك "لكي تنال" {١كو٩: ٢٤}، وتذكّر باستمرار ما أنقذك الله منه، واشكره في كل الأمور، متوسلاً أن يُتمِّم رحمته لك حتى النهاية، آمين.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٩٧ ـ ٢٩٨

📖 ٤٣- إجابة من الشيخ الكبير {برصنوفيوس}، إلى الأب {يوحنا} نفسه، لكي يُسلِّم جميع اهتماماته لله: «مَنْ يشرب من الماء» الذي أرسلتُه لك بالخطابات، «فلن يعطش إلى الأبد» {يو٤: ١٤}.

📖 ولكن عليك أن تتوقع وترجو الإنعاش بإيمان المسيح.

📖 خُذ هذا الخبز من طعامي، وكُنْ حُرًّا من الهمّ.

📖 لا تخف من شيء، بل اقبل قوةً ورجاءً من الروح القدس.

📖 آمن أنّ يد الله معك.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٣٠٤

{٧}

قديسون أخرون

📖 **قيل عن أنبا أموناس الأسقف:**

📖 إنه قتل عظاية {تشبه الحرباء ولكن حجمها أكبر جدًّا}، فإذ كان ذاهبًا يومًا ما إلى البرية، ليستقي ماءً من البحيرة رأى العظاية، فألقى بنفسه على وجهه على الأرض قائلاً: يا رب، إمّا أن أموت أنا، أوهي، وللحال انشقّت العظاية منفجرةً بقوة الله!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٢٥٣

📖 كما أن ابنة الملك لا يعطيها لأي إنسان يجده كما اتفق، ولكن يعطيها لإنسان عظيم مؤتمن، كذلك الله لا يهب حكمته إلا لمن هو معظم، ومكرم في الإيمان الصالح.

كتاب تعاليم مار أوغريس ـ صفحة ١٤٤



الإيمان هو أن يؤمن الإنسان بوجود الله، وهو يعطى الأجر للذين يطلبونه، فإن طلبوه بتفتيش فهذا ليس إيمان، لأن من يؤمن لا حاجة له إلى التفتيش، فإنه يؤمن بدون أن يفحص، ويصدق المواعيد بدون أن يراها {عب١١: ١}

كتاب الآباء الحاذقون في العبادة ـ الجزء الثاني ـ القديس يوحنا السيوطي ـ صفحة ٩٦

٢٥ـ الأرثوذكسية الحقيقية هي المعرفة الصحيحة عن الأشياء المرئية وغير المرئية: المرئية هي الأشياء الحسية، وغير المرئية هي الفكر، والعقل، والروح، والله.

الهدف الأخير للأرثوذكسية هو المعرفة النقية لعقيدتي الإيمان:

الثالوث، وطبيعة المسيح، التأمل في الثالوث، ومعرفته على أنه غير قابل للانقسام، ولوأن الأقانيم ليست ممتزجة معا.

ومعرفة طبيعة المسيح على أنه طبيعة واحدة من طبيعتين، ومعنى هذا أن يعرف الإنسان إيمانه بابن الله.

ويعترف به قبل التجسد، وبعد التجسد.

وأن يسبحه في طبيعته، ومشيئته الواحدة، وهي من طبيعتين ومشيئتين، اللاهوتية والناسوتية، اتحدتا معا بغير امتزاج.

يجب الاعتراف بخواص الأقانيم الثلاثة الثابتة، غير المتغيرة في الثالوث المقدس. عدم الولادة، والولادة، والانبثاق.

الآب غير مولود، وليس له بداية.

والابن مولود، وأيضا ليس له بداية.

والروح القدس أزلي الوجود معهما، وينبثق من الآب.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٥١ ـ ٥٢

٢٨ـ الإيمان المملوء نعمة، المؤيد بحفظ الوصايا يؤدى إلى الخلاص إذا حافظنا عليه بكل قوتنا.

📖 ولم نؤثر الإيمان الميت والخامل، على الإيمان الحي، والعامل في المسيح. ويجب على المؤمن أن يثبت صورة الإيمان في قلبه.

📖 وأن ينظم حياته حسب إيمانه العامل في المسيح.

📖 ولكن في أيامنا هذه الجهلاء يعلمون الأتقياء إيمانا ميتا، عديم الإحساس، بدلا من إيمان النعمة.

📖 **٢٩**ـ التثليث هو وحدة بسيطة ليست ممتزجة. هي ثلاثة في واحد، الإله ذو الثلاثة أقانيم. له ثلاثة أقانيم متميزة تميزا تاما في ذاته.

📖 **٣٠**ـ اللـه معروف مدرك في كل شيء في ثلاثة أقانيم.

📖 هو مالك كل شيء، ويعطي كل شيء بواسطة ابنه في الروح القدس. ولا واحدا من الثلاثة أقانيم يدعوه أي إنسان، أو يناديه، أو يفكر فيه بأنه موجود على حدة، أو منفصل عن الأقنومين الآخرين.

📖 **٣١** ـ إن للإنسان عقلا، وكلمة، وروحا:

📖 فالعقل لا يستطيع أن يكون بدون الكلمة.

📖 ولا الكلمة تكون بدون الروح.

📖 لكن الثلاثة دائماً كل منها في الآخر.

📖 فالعقل يتكلم بواسطة الكلمات، والكلمة تظهر بواسطة الروح.

📖 هذا المثل يبين أن الإنسان يحمل في نفسه صورة باهتة من النموذج الأصلي الذي يجل عن الوصف، التثليث، ولذلك يتضح أن الإنسان خلق على صورة اللـه.

📖 **٣٢** ـ العقل هو الآب. والكلمات هي الابن.

📖 والروح هو الروح القدس.

📖 كما يعلمنا الآباء القديسون بهذا المثل، أن عقيدة الثالوث المتحد الجوهر والمادة، الموجود قبل كل الدهور، عقيدة إله واحد في ثلاثة أقانيم. هكذا وصل إلينا الإيمان الحقيقي كمرسى الرجاء.

📖 وبناء على ما ذكر في الكتاب المقدس، نعرف أن الإله الواحد هو أصل الخلود، وأن قوة الأقانيم الثلاثة في إله واحد هي الحقيقة الصحيحة الكاملة. وكلمة الإنجيل في هذا الموضوع "هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، في ثلاثة أقانيم، ويسوع المسيح الذي أرسلته" {يو١٧: ٣}

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٥٢ ـ ٥٣



📖 **سُئل الأب يوحنا الفارسي:**

📖 لقد تحملنا ضيقات عظيمة من أجل ملكوت السماء، فهل سنرثه؟

📖 فقال له الشيخ: فيما يخصني، فلي ثقة أنني سأحصل على ميراث أورشليم العليا المكتوب في السماوات.

📖 لماذا لا أكون واثقًا؟ لقد كنتُ مضيافًا مثل إبراهيم.

📖 ووديعًا {أو حليمًا} مثل موسى. ومقدسًا مثل هارون.

📖 وصبورًا مثل أيوب. ومتواضعًا مثل داود.

📖 ومتوحدًا مثل يوحنا. وممتلئًا بالندم مثل إرميا.

📖 ومعلِّمًا مثل بولس. وممتلئًا بالإيمان مثل بطرس.

📖 وحكيمًا مثل سليمان. إنني أثق - مثل اللص {اليمين} - أنّ ذاك الذي بصلاحه الطبيعي قد أعطاني كل ذلك، سيمنحني أيضًا الملكوت!

كتاب فردوس الآباء ـ القديس الأب يوحنا الفارسي ـ الجزء الثالث ١٥١



📖 **قال القديس إبيفانيوس:**

📖 إن ملكي صادق – رمز المسيح – قد بارك إبراهيم أبو اليهود، فكم بالأكثر الحق نفسه، الذي هو المسيح، يبارك ويقدِّس كل الذين يؤمنون بالحق!

كتاب فردوس الآباء ـ ـ القديس إبيفانيوس ـ الجزء الثالث ٢٠٢



📖 **قال الأب أوبربيوس:**

📖 حيث إنك تعلم أن الله أمين وقدير، فليكن لك إيمان به، فتشاركه فيما هوله. فإن كنتَ خائر النفس فأنت لا تؤمن.

📖 نحن جميعًا نؤمن أنه قدير، ونؤمن أن كل شيء ممكن لديه.

📖 ففيما يخص شئونك ليكن سلوكك بثقة فيه بخصوصها أيضًا، لأنه قادر أن يعمل معجزات فيك أنت أيضًا.

كتاب فردوس الآباء - القديس الأب أورانيوس - الجزء الثالث ٢٤٣



📖 **قال أنبا أفراطوس:**

📖 إن شاء الله حياتي فهو يعلم كيف يسوس أمري، وإن لم يشأ فمالي وللحياة؟ لأنه ما كان يشاء أن يأخذ من أحد شيئًا، وكان مُلقى على سريره، لأنه كان يقول: إن أخذتُ من أحد شيئًا فليس لي ما أكافئه عنه.

كتاب فردوس الآباء - أقوال القديس أفراطوس - الجزء الثالث - الصفحة ٢٤٥



📖 **قال أنبا لوقيوس:**

📖 أنا عبد وصاحبي قال لي: اعمل عملك، وأنا أعولك بأية طريقة كانت، وحتى إن شختَ، أو اقترضتَ، أو كان لي ما عليك فاعمل أنت فقط، وأنا أعتني بك.

كتاب فردوس الآباء - القديس أبّا لوقيوس - الجزء الثالث - الصفحة ٢٥٢



📖 **قال شيخ:**

📖 كما أنه لا يمكن لأحدٍ أن يؤذي مَنْ هو قريبٌ من الملك، هكذا أيضًا لا يمكن للشيطان أن يؤذينا إن كانت نفوسنا قريبة من الله، لأنه حقًا قال: «اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» {يع٤: ٨}.

📖 ولكن إن كنّا نمجِّد ذواتنا، فإنّ العدو لا يجد صعوبةً في اجتذاب نفوسنا المسكينة إلى الأهواء المشينة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٤٣٤



📖 ١١٩ـ النعمة ليست مجرد إيمان، لكنها أيضا صلاة فعالة.

📖 لأن الصلاة الفعالة تبين عمليا الإيمان الحقيقي الحي بيسوع، لأنه يأتي من الروح القدس، بواسطة المحبة.

📖 هكذا يكون الإيمان ميتاً، عديم الحياة في أي إنسان، {لوانه} لا يراه فعالا في نفسه {بواسطة الصلاة}. وأكثر من ذلك ـ ليس للإنسان الحق في أن يدعى مؤمناً، إذا كان إيمانه مجرد كلمة، وإذا لم يكن في داخله إيمان ينشط بالمحبة، أو بالروح القدس.

📖 كذلك يجب أن يكون الإيمان واضحا بالتقدم في الأعمال، أو يجب أن يعمل في النور، ويتضح في الأعمال كما يقول الرسول اللاهوتي "أرنى إيمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي إيماني" "يع٢: ١٨".

📖 هذا يبين أن إيمان النعمة يظهر واضحا بالأعمال المنجزة حسب الوصايا، تماما كالوصايا تنجز وتتم بالأعمال، وتضاء بالإيمان الذي في النعمة.

📖 الإيمان أصل الوصايا، أو بالحري النبع الذي ماؤه يغذى نموه.

📖 للإيمان صورتان: العقيدة، والنعمة، اللتان تظلان في نفس الوقت واحدة غير منقسمة.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٨٦

📖 **٥٣ـ** إذا كان المسيح هو لنا حكمة، وبر، وقداسة، وفداء» {اكو١: ٢٥}، فمن الواضح إنه أيضاً راحتنا. كما قال هو نفسه: "تعالوا إلـيَّ يا جميع المتعبين، والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم" {مت ١١:٢٨}.

📖 ويقول أيضاً أنه "السبت" و "السبت" يعني "الراحة" «قد جُعل لأجل الإنسان» {ق.م. مر ٢: ٢٧}، لأنه فقط في المسيح يجد الجنس البشرى راحته.

الفيلوكاليا ـ القديس يوحنا الكرباثى ـ لأجل تشجيع الرهبان في الهند ـ صفحة ٣٠٢

📖 **٩٠ـ** الله هو فقط الصالح بالطبيعة {ق.م. مت١٩: ١٧}.

📖 والذي يُقلد الله فقط هو الصالح في الإرادة والهدف. لأن نية مثل هذا الشخص هي جمع الأشرار إلى الذي هو صالح بالطبيعة، حتى إنهم يمكن أن يصبحوا صالحين أيضاً.

📖 هذا الذي لأجله، بالرغم من شتمهم إياه يبارك. يُضطهد، فإنه يحتمل. يُفترى عليه، فيتضرع {إلى الله من أجلهم} {ق.م اكو ٤: ١٢ – ١٣} يُقتلونه، فيصلى من أجلهم. إنه يفعل كل شيء حتى لا ينحرف عن هدف الحب، الذي هو الله نفسه.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الرابعة - صفحة ١٠٩



📖 **وقال أنبا يوحنا القصير:**

📖 "لابد للإنسان من الإيمان الخاص الحقيقي.

📖 فالإيمان العام هو لكل الناس، ومن نعمة ربنا علينا أنه ولدنا {فيه}.

📖 فأما الإيمان الخاص الذي يقربنا من الله، فهو بأن تسأل وتطلب منه العظائم، التي ولا التصديق بوجودها يقدر عليه آخرون. وأن نعتصم به، فهو اقوى من كل شيء. ثم إن الثبات في الجهاد، والصبر على البلايا، هو أيضاً أفضل كل الأمور.

كتاب بستان الرهبان - صفحة ٢٤١



{٨}

القديس أنبا مكاريوس

📖 **قيل عن أنبا مقار:**

📖 أنه كان قادماً من برّية شِهيت إلى مصر حاملاً سلالاً.

📖 ولما تعب جلس ورفع عينيه نحو السماء وقال: يا رب أنت ترى تعبي. فما أن قال هذا حتى، وجد نفسه عند النهر مع سلاله.

كتاب فضائل أنبا مقار - صفحة ٥١



📖 لما أراد الرب، في الإنجيل، إن يقود تلاميذه إلى الإيمان الكامل قال لهم: "الأمين في القليل، أمين في الكثير، والظالم في القليل، ظالم أيضاً في الكثير" {لو١٦: ١٠} فما هو القليل، وما هو الكثير؟

📖 القليل هو خيرات هذا العالم، التي وعد إن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به: مثل الطعام، واللباس، وكل الأشياء الأخرى اللازمة للجسد، والصحة، وما أشبه ذلك. وهو يدعونا إلا نهتم، أو نقلق، بخصوص هذه الأشياء، بل إن نثق فيه بيقين تام، انه كفء لحاجات أولئك الذين يلتجئون إليه، في كل شيء.

📖 أما الكثير فهو هبات العالم الأبدي، الذي لا يفنى، ولا يضمحل، التي وعد إن يعطيها لأولئك الذين يؤمنون به، ويهتمون بطلبها بلا انقطاع، ويسألونه لأجلها، لأنه هو الذي أوصى بذلك قائلاً: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم" {مت ٦: ٣٣}.

📖 لكي بواسطة هذه الأشياء القليلة الزمنية، يمكن إن يختبر كل إنسان إن كان يؤمن بالله، لأنه وعد إن يعطي هذه الأشياء بدون إن نهتم، ونقلق من جهتها، بل نهتم فقط من جهة الأمور الأبدية الآتية.

📖 ٢- لذلك فإن كان له إيمان قوي من جهة الأشياء الزمنية، فإن هذا يكشف عن إيمانه بخصوص الأمور التي لا تفنى، وكيف انه يسعى حقاً طالباً الخيرات الأبدية.

📖 لذلك ينبغي على كل واحد، من أولئك الذين يطيعون كلمة الحق، إن يختبر نفسه ويمتحنها، أويدع الرجال الروحانيين يعينونه على ذلك، لكي يعرف إلى أي درجة قد آمن بالله، واعطى نفسه له.

📖 وهل إيمانه هذا حقيقي بحسب كلمة الله، أم انه يعتمد على رأيه الخاص في تبرير وأيمان كاذبين، متخيلاً إن له أيمانا داخل نفسه.

📖 فإن هذا هو السؤال الذي يمتحن به الإنسان نفسه.

📖 **هل هو أمين في القليل، أي الأمور الزمنية؟**

📖 وكيف يتم هذا الامتحان؟ هذا ما سأوضحه لكم الآن:
📖 هل تقول إنك تؤمن انه قد أعطى لك ملكوت السماوات؟
📖 وإنك قد ولدت من فوق، وصرت ابناً لله، ووارث مع المسيح، لتملك معه إلى الأبد، وتتنعم في النور الذي لا يوصف طوال الدهور الأبدية مع الله؟ لا شك إنك ستقول: "نعم فانه لهذا السبب قد تركت العالم، وسلمت نفسي إلى الرب".

📖 ٣- لذلك، افحص نفسك الآن.
📖 هل لا تزال الاهتمامات الأرضية لها تأثير عليك.
📖 وتفكر كثيراً بخصوص الطعام، واللباس، وغيرها من الاهتمامات المشابهة، كأنك تحصل على هذه الأشياء بقوتك الخاصة.
📖 وكأنه يلزمك إن تقوم بتزويد نفسك بكل احتياجاتك، بدلاً من الوصية التي أعطاها لك الرب، إلا تهتم، ولا تقلق أبداً، من جهة هذه الأشياء اللازمة لك.
📖 فإن كنت تؤمن أنك ستنال الخيرات الأبدية الباقية، التي لا تضمحل، فكيف لا تؤمن بالأولى إن الرب سيعطيك هذه الأشياء الأرضية الفانية، التي يعطيها الله حتى للأشرار، وللوحوش، والطيور.

📖 لقد أعطاك الله وصية إلا تهتم بهذه الأمور، ولا تقلق، إذ قال: "لا تهتموا بما تأكلون، أو بما تشربون، أو بما تلبسون، فإن هذه كلها تطلبها الأمم" {مت ٦: ٢٥-٣٢}.
📖 أما إن كان لا يزال عندك هم، وانشغال بهذه الأمور، ولم تثق كلية بكلمته، فاعلم إنك لم تؤمن بعد بانك ستنال الخيرات الأبدية، التي هي ملكوت السماوات، بالرغم من أنك تظن تؤمن، بينما أنت توجد غير أمين في الأشياء القليلة التي تفنى. وأيضاً كما إن الجسد هو أفضل من اللباس، كذلك فإن النفس هي أفضل من الجسد {مت ٦: ٢٥}.

📖 فهل تؤمن، إذن إن نفسك تحصل من المسيح على الشفاء من الجروح، التي لا يستطيع البشر شفاءها، أي جروح شهوات الخطية، التي لأجل شفائها جاء الرب إلينا ههنا، لكي يشفي نفوس المؤمنين من هذه الجروح، التي لا تشفى، ويطهرهم من دنس الخطية، ونتانتها، وبرصها - لأنه هو الشافي والطبيب الحقيقي الوحيد؟

📖 ٤- إنك ستقول "إنني أؤمن بكل تأكيد - وهذه هي ثقتي، وهذا هو رجائي" فالآن افحص نفسك، وانظر إن كانت الأمراض الجسدية تجعلك تجري إلى الأطباء الأرضيين، أم لا، كما لو إن المسيح الذي تؤمن به لم يستطيع إن يشفيك. فانظر كيف تخدع نفسك.

📖 لأنك تظن إنك تؤمن، وأنت في الحقيقة لا تؤمن كما ينبغي.

📖 فلو إنك آمنت إن جروح النفس التي لا تشفى، وأهواء الخطية، يشفيها المسيح، لآمنت أيضاً انه يستطيع إن يشفي أمراض الجسد المؤقتة، ولكنت لجأت إليه وحده، وتركت جانباً وسائل الأطباء وأدويتهم. فإن الذي خلق النفس خلق الجسد أيضاً.

📖 والذي يشفي النفس غير المائتة، يستطيع أيضاً إن يشفي الجسد من أمراضه، وعلله العابرة المؤقتة.

📖 ٥- ولكنك بلا شك ستقول "إن الله قد أعطانا نباتات الأرض، والعقاقير لأجل شفاء الجسد، وقد أعد وسائل الأطباء ومعالجتهم لأجل أمراض الجسد وآلامه، ورتب إن الجسد الذي من التراب يكون، شفاؤه بوسائل متنوعة من نفس الأرض".

📖 واني أوافقك على صحة هذا الكلام.

📖 ولكن انظر وانتبه، وأنت ستعرف لمن اعطى الله هذه الأشياء، ولأجل من رتبها حسب رحمته العظيمة، ومحبته غير المحدودة للبشر. فحينما سقط الإنسان بتعدي الوصية التي أعطيت له، صار

تحت العبودية والعار، وكأنه ذهب ليعمل ويكد في أحد المناجم، مطروداً من أفراح الفردوس إلى هذا العالم.

وصار تحت قوة سلطان الظلمة، وانحدر إلى حالة عدم الإيمان، بواسطة الخطايا والشهوات، وحينئذ سقط تحت وطأة أمراض الجسد، واضطراباته، بدلاً من حالته الأولي، الخالية من الاضطراب والمرض. وبالتأكيد فإن كل الذين ولدوا من الإنسان الأول، سقطوا تحت الأمراض والاضطرابات.

٦ـ لذلك فإن الله قد رتب هذه الأدوية، والعلاجات للضعفاء، والذين لا يؤمنون، لأنه لا يريد في كثرة تحننه ومحبته، إن يلاشي جنس البشر الخاطئ كلية، بل اعطى الطب، والأدوية لأهل العالم، ولكل الذين هم من خارج لأجل شفائهم، وصحتهم، وعلاج أجسادهم.

وسمح إن تستعمل هذه الوسائل بواسطة أولئك، الذين لم يستطيعوا بعد إن يؤمنوا بالله، ويثقوا به كلية، مستودعين حياتهم تماماً له بالإيمان. وأما أنت أيها الراهب، يا من أتيت إلى المسيح، وتريد إن تكون ابناً لله ومولوداً من الروح من فوق، وتنتظر المواعيد التي هي أعلا وأعظم مما اعطى للإنسان الأول. لأن كل ما كان للإنسان الأول من حالة الحرية، من الاضطراب والشهوات، قد سر الله إن يعطيك أكثر منه بحضوره معك أنت أيها الذي صرت غريباً للعالم.

ينبغي إن يكون لك إيمان، وفهم، وأسلوب جديد تماماً للحياة، يتميز كلية عن أهل العالم، ويتفوق عليهم.

والمجد للآب والابن والروح القدس إلى الأبد.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة الثامنة والأربعون ـ صفحة ٣٠٨ ـ ٣١٢



{٩}

القديس باسيليوس الكبير

في الإيمان والرجاء

📖 في كل الأمور يا أحبائي فليكن الإيمان باللَّه رئيساً علينا، وقائداً لنا، وليكن الرجاء الصالح تابعاً للإيمان، فنرجو الخير هناك فقط، لكي من جهة الإيمان تقوى نفوسنا، وبالرجاء تنبسط الأعمال الصالحة.

📖 وإذ أن الأعمال الصالحة لا تكمل بدون معونة اللَّه، والمواهب الصالحة لا تحصل بدون اجتهاد، فيجب على الإنسان أن يجتهد بقدر قوته، وأن يكون له إيمان ثابت ورجاء صالح، ليقتني معونة اللَّه ويقوى على كمال الفضيلة.

ميامر مار إسحق ونسكيات القديس باسيليوس ـ الجزء الأول ـ اصدار دير السريان ـ صفحة ١٧٩



الإيمان الحقيقي

📖 **١ـ فكر الرب في عقولنا وقلوبنا:**

📖 يقول داود النبي: "أفكارك يا الله عندي، ما أكثر جملتها" {مز١٣٩: ١٧}. ويقول معلمنا بولس الرسول: "لأنه من عرف فكر الرب فيعلمّه، وأما نحن فلنا فكر المسيح" {١كو٢: ١٦}.

📖 إنه حقاً شيء جيد إن نحتفظ بفكر الله العلىّ في عقولنا، وأي إنسان مسيحي حقيقي لا يتوقف عن أن يفعل هذا.

📖 ولكن لكي نعبّر عن هذا الفكر في كلمات، فهذه مخاطرة صعبة جداً، لأن ذكاؤنا غير كاف ليتعامل مع هذا الموضوع، واللغة التي نستطيع أن نعبر بها هي قاصرة، وفقيرة عن وصف ذلك.

📖 لكن الرغبة في تمجيد الله هي طبيعة موجودة في كل مخلوق عقلاني، إلا أن القدرة للتعبير عن هذا الموضوع بكفاءة ليست متساوية. لا يوجد إنسان إلا ويرى في نفسه أنه قاصر، وعاجز تماماً عن إدراك هذا، وكلما تعمق في الفهم في هذا الاتجاه، فإنه يشعر أكثر بالجهل.



📖 فبالرغم من أن الاثنان إبراهيم وموسى وصلا إلى أعلى قامة ممكن أن يصل إليها فهم البشر، إلا أنهما شعرا بضآلتهما أمام وجه الله، فقال إبراهيم "إني فقط تراب"، وموسى فكّر في أن صوته ضعيف ولسانه متلعثم، لأنه وجده غير قادر على التعبير عن كنه القوة العقلية.

📖 ولكن لأن جمهور المستمعين لي قد جاءوا ليسمعوا ما أتكلم به عن الله، ولأن الكنيسة دائماً مستعدة أن تسمع، كما هو مكتوب: "لا توجد نهاية للسمع" {جا ١: ٨}، أنا أشعر إنني مرغم أن أتكلم بأكبر قدر من قدراتي، وسوف لا أتكلم عن الله كما هو، بل سأتكلم عن الله كما نفهم نحن فقط.

📖 ولذلك فإذا أردنا أن نتحدث، يعتبر هذا فوق طاقة قدرتنا، لأنه حتى لوكان لدينا لسان الملائكة في كل طبيعتهم الذكية، فلا نستطيع أيضا أن نقدم إلا جزيئات صغيرة في هذا الموضوع لو أردت أن تتكلم عن الله، أو تستمع إلى الله، فلابد أن تسمو بجسدك وحواسك، وتعلو بعيدا فوق الأرض والبحر، وتترك الغلاف الجوي السفلى ورائك، وتسافر فيما وراء الزمن، والإيقاع الطبيعي للأرض ونظامها، وتحلّق في الجو فوق الكواكب مع أشكالهم، وأحجامهم المذهلة، وكل شيء يجعلها تسير في انسجام، وضوءها، والوضع، والحركة في التجاذب والتنافر مع بعضهم البعض.

📖 وعندما تذهب فيما وراء هذا ارتفع فوق في السماء، وزد ارتفاعا وانظر حولك، وعقلك يفكر في هذا الجمال الذي هناك، وجموع المرنمين من الملائكة، ورؤساء الملائكة، ومجد هذه المنطقة، صفوف العروش، القوة، السلطة، الكرامة، وبعد أن مررت بكل هذا تأمل كل واحد منهم بعقلك.

📖 في النهاية ستصل إلى الطبيعة الإلهية التي مازالت ثابتة، وهادئة، لا تتغير، بسيطة، نقية، واحدة لا تتجزأ، قوة تفوق الوصف، ومقدار غير محدود من المجد الذي لا يعبّر عنه، جمال لا يمكن أن تتصوره،

الذي هو أداة جذابة حقيقية لأرواحنا المجروحة، ولكن لا تعبر عنها بالكلمات.

📖 **٢ـ جمال الله:**

📖 الآن ما هو أعظم من الجمال الإلهي؟

📖 ما هو أبهج من التفكير في روعة الله؟

📖 ما هو أقوى من اشتياقات النفس التي تحل عليها نعمة من الله؟

📖 تلك التي تنقيها من الشرور، وهي صارخة بالحب الحقيقي "أنا مجروح بالحب"!

📖 بريق الجمال الإلهي يفوق كل عبارات ووصف، فالكلمات لا تستطيع أن تعبر عنه، وقوىّ السمع لا يستطيع أن يستقبلها، فلا تستطيع أن تقارنه بإشعاعات كوكب الصبح، أو القمر المضيء، أو ضوء الشمس في نصف النهار، كل هذه المقارنات بالتأكيد تفشل في أن تعبر عن الطبيعة الحقيقية لهذه الإضاءة السمائية. كمثل مقارنة ظلام الليلة الغير قمرية الدامس، مع شمس ساطعة في منتصف النهار.

📖 الجمال الحقيقي لا يرى بالعين البشرية، ولكن يلتقط فقط بالروح والعقل، عندما يحدث ويشع في واحد من القديسين، ويترك وراءه اشتعالا من الحنين الذي لا يحتمل.

📖 والقديسون الذين يدركون حقيقة هذه الحياة الحاضرة يصرخون دائماً "وحسرتاه لقد طالت حياتي هنا". أو "متى أجيء وأتراءى أمام حضرة الله". أو "لأنطلق وأكون مع المسيح هذا أفضل جداً". أو "عطشت روحي لله القوى الحي". أو "الآن يا سيدي تطلق عبدك بسلام".

📖 لأن هذه الحياة تظهر وكأنها سجن لأرواحهم، التي تلامست بالإشتياقات الإلهية، فأصبحوا نادراً ما يستطيعون أن يتحكموا في

رغبتهم الملحّة للانطلاق، ورغبتهم ليروا جمال السماء الذي لا يشبعوا منه، ويتضرعون أن يستمر تفكيرهم في محبة الله بدون انقطاع في الحياة الأبدية.

📖 طبيعتنا البشرية تحب الجمال، والصلاح دائماً جميل، ويستحق الحب، الله هو الصلاح وكل الأشياء تحتاج إلى الصلاح، وبالتالي كل الأشياء تحتاج لله.

📖 ٣ـ معونات الرب يسوع المسيح:

📖 من خلال الابن الوحيد جاءت كل أنواع المعونات للإنسان، وكل واحدة منها أخذت اسماً خاصاً بها. فعندما يجتذب إليه النفوس الطاهرة، التي لم يشوبها شائبة، ولا نجاسة، مثل عذراء عفيفة، فهو عندئذ يدعى "عذراء النفوس".

📖 وعندما يؤدب ويعالج النفوس، التي انجرحت من ضربات الشيطان الذي أسقطها في الخطية، ففي هذه الحالة يدعى "طبيب النفوس".

📖 إن كل اهتماماته العظيمة بنا لا تجعلنا نستهين بقوته العظيمة، أو بمحبته الكاملة للبشرية، تلك التي جعلت مخلصنا له المجد يعاني معنا أسقامنا، وأن ينزل إلى حالتنا التي في الضعف.

📖 لأنه لا السماء ولا الأرض، ولا كل البحار، والمحيطات، ولا المخلوقات التي تعيش في الماء، أو على الأرض، ولا أي من النباتات، ولا النجوم، ولا الهواء، ولا كل الفصول، ولا كل الموجودات المختلفة التي في الكون، تستطيع أن تظهر جيداً سمو جبروته.

📖 لأنه بالحقيقة هو الإله الغير محدود، الذي استطاع بغير استحالة أن يقابل الموت من خلال جسده، وبآلامه الخاصة، منحنا الحرية من المعاناة كما قال معلمنا بولس الرسول: "لكن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" {رو٨: ٣٧}.

📖 هذه العبارة لا توحي ببساطة هذه المهمة التي قام بها ربنا له المجد، ولكن على العكس تبين لنا عظم المساعدة التي أعطيت لنا بقوة لاهوته، حتى نحصل على انتصارنا.

📖 إن كلمة الله الخالق، وحيد الجنس، هو مانح المعونة، وهو موزع مساعداته المتنوعة والكثيرة لكل الخليقة، كل حسب احتياجه: فالمحبوسون في ظلام الجهل يعطيهم النور، لذلك هو يدعى "النور الحقيقي". عندما يقبل التائبين فهو عندئذ الديان، ولذلك يدعى "الديان العادل"، لأن "الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" {يو٥: ٢٢}.

📖 عندما يقيم الساقطين من الحياة إلى أسفل الخطية، فهو يدعى "القيامة"، لأنه هو الذي قام من الموت، وبعث الحياة.

📖 هو "الخالق" لكل الأشياء، بلمسة من قوته، وإرادته الإلهية.

📖 هو "الراعي"، هو "المنير"، هو "المغذى"، هو "المقوي"، هو "المرشد"، هو "الشافي"، هو "المقيم"، هو الذي "دعي الأشياء التي لم تكن"، وهو الذي "يثبت الأشياء الكائنة.

📖 لذلك كل المعونات الجيدة تأتينا من الله خلال ابنه الوحيد الجنس، الذي يعمل في كل حالة بسرعة عظيمة، أسرع من أن ينطقها اللسان، فلا البرق، ولا سرعة الضوء في الهواء، ولا لمحة العين، ولا حتى حركة الفكر، تماثل سرعة استجابته، لأن القدرة الإلهية تفوق كل هذا.

📖 ٤ـ الباراكليت:

📖 الروح القدس لا يستريح في النفس البشرية، إلا بعدما تبتعد هذه النفس عن المؤثرات، والأهواء، التي أتت عليها نتيجة مرافقتها للجسد، والتي أدت بالتالي على انتزاعها من صداقتها لله.

📖 فعندما يتنقى الإنسان من العار الذي أصابه بوقوعه في الرذيلة، ويرجع إلى الجمال الأصلي لطبيعته، التي هي الصورة الملوكية

النقية، وترجع النفس إلى شكلها الأصلي، بعد هذا يمكن لها أن تقترب إلى "البارا كليت"، الذي هو مثل الشمس، يجعل عينيك النقية ترى الصورة الحقيقية، صورة الله الغير مرئي، وتنظر الصورة المباركة لله، وتقترب من صورة الجمال الغير منطوق به "للباراكليت".

🕮 من خلال "الباراكليت" ترتفع القلوب إلى أعلى، والضعيف يقوده من يديه إلى الطريق السليم، والذين يحاولون أن يتقدموا في حياتهم الروحية يصل بهم إلى حالة الكمال.

🕮 هو يشع على الذين نقّوا أنفسهم من كل دنس، ويجعلهم روحانيين بمرافقته لهم، تماما مثل الأشياء اللامعة والبراقة، التي عندما تسقط عليها أشعة الشمس، تظهر وكأنها أكثر لمعانا وبريقا.

🕮 كذلك كل النفوس التي تحمل الروح القدس، تصبح مضيئة بالروح القدس، وهم أنفسهم يصبحوا روحانيين، ويشعوا على الآخرين بنعمتهم.

🕮 "الباراكليت" هو القدوس: معطي النبوة، وفهم الأسرار، وإدراك الأشياء الخفية، والحصول على العطايا السماوية، ومواطنة السماء، هذا المكان الذي فيه جنود الملائكة، والسعادة التي لا تنتهي، الإتحاد بالله، ونصبح شبه الله، بل والأعلى من كل هذا هو أن نصبح آلهة.

🕮 هذه فقط بعض من أفكارنا التي تتعلق بالروح القدس، التي تعلمنا أن نتمسك بها، فيما يخص عظمته، وعزته، وجلاله، وأفعاله، التي ننطق بها بنعمة الروح القدس.

🕮 ٥- إنعامات روح الله القدوس:

🕮 من هم الذين لا تنتعش أنفسهم عندما يسمعون كلمة "الروح القدس"؟!، ومن هم الذين لا يرتفع تفكيرهم إلى الكائن الأسمى؟!، لأنه يدعى "روح الله"، "روح الحق"، الذي "ينبثق من الآب"،

📖 "روح الاستقامة"، "الروح المرشد".

📖 إن كل هذه الصفات المقدسة هي مندمجة، ومتحدة، ولا تتجزأ، فإن المرأة السامرية التي كانت تعتقد أننا سنسجد لله في مكان معين، فإن مخلصنا الصالح – لهذا الاندماج الغامض – قال لها "الله روح" {يو٤: ٢٤}.

📖 عندما نسمع عن الروح القدس، فإننا من المستحيل أن نعتبره طبيعة محدودة، ويتعرض للتغيير والتبديل، مثل أي مخلوق، ولكننا لابد أن نعلوا بعقولنا إلى العلو التام، ونؤمن بكل قوة على اعتباره جوهر عاقل، لقوة غير محدودة، وعظمة لا نهائية، لا تقاس بالأوقات، ولا العصور.

📖 إن الروح القدس هو كريم في عطاياه لكل المواهب الحسنة، إن لجأ إليه أحد يطلب منه المعونة التي يحتاجها للقداسة، أو يطلب منه أن يعيش في حياة الطهارة والفضيلة، فإنه يهبهم كلهم بعطاياه، وهباته، ومساعداته، حتى يصلوا إلى الطبيعة التي يريدونها، والنهاية الحسنة التي يرغبونها.

📖 إن الروح القدس يكمل كل الأشياء، ولكنه هو بنفسه لا ينقص شيئا، لا يحتاج إلى إعادة حياة، وهو الذي يهب الحياة، لا ينمو بالتدريج، ولكنه كامل وثابت، ويوجد في كل مكان، هو منبع القداسة، وضوء العقل، ينير بذاته لكل عقل يطلبه بعد الإيمان به.

📖 يتعذر الوصول إليه بالطبيعة الجسدية، وصلاحه يشمل كل الخليقة، يحتوي كل الأشياء بقوته، ويحل فقط في الذين هم مستحقين، لا يوزع هباته بمكيال واحد، ولكنه يوزعها بقدرته حسب درجة إيمان كل واحد. هو روح بسيط، ولكنه يهب هبات مختلفة، كله موجود في كل واحد، وكله موجود في كل مكان.

🕮 هو يُقسّم بدون أن يشعر بألم. يوزع على الكل بدون أن ينتهي، ولكنه يبقى كاملا إلى الأبد، مثل أشعة الشمس التي تلقى بخيراتها على كل شخص فيتمتع بها، كما لو كانت الشمس قد وُجدت له وحده، وفى نفس الوقت هي تضيء على الأرض، والبحار، وتخترق الأجواء.

🕮 هكذا أيضا يكون الروح القدس لكل الذين يستقبلونه، كأنه قد أعطى لهم وحدهم، وبهذا يسكب قوة كافية، ونعمة غير ناقصة على الكل، ويتمتع به كل الذين يشتركون فيه، ليس حسب قدرة الروح القدس، فهو قادر على كل شيء، ولكن بقدرة طبيعة هؤلاء الأشخاص واستعدادهم ونموهم.

🕮 ٦ـ الامتلاء بالروح القدس:

🕮 بالروح القدس يتم رجوعنا إلى الفردوس، وصعودنا إلى الملكوت السمائى، وتعود بنوتنا الحقيقية كأولاد وبنات الله، وتكون حريتنا كاملة لندعو الله أبانا، وتتم مشاركتنا في نعمة المسيح، ويطلق علينا مرة أخرى أولاد النور، لنشارك في المجد السماوي.

🕮 وباختصار امتلاؤنا بالنعمة في هذا الدهر، والدهر الآتي، ونحظى بالأشياء الجميلة المعدة لنا بالوعد، والتي ننظر نعمتها كما في مرآة، ونحن بشوق ننتظرها بالإيمان، كما لو كانت موجودة بالفعل.

🕮 إذا كان هذا هو العربون، فما أعظم المكافأة النهائية؟!

🕮 وإذا كانت هذه هي الثمار الأولي، فما أعظم الامتلاء؟!

🕮 ٧ـ قوة الروح القدس:

🕮 ما هي أعمال الروح القدس التي لا توصف في عظمتها، ولا تحصى في عددها لكثرة تعددها؟

🕮 كيف نستطيع أن نكوّن فكرة على هذا الذي يمتد عبر الأزمان؟

🕮 ما هو وظائفه قبل التي سيصنعها طعنا أن نتخيلها؟

📖 ما هي أعظم النعم التي سيصنعها؟
📖 ما هي مقدار القوة التي سيصنعها عبر الأزمان التي تأتى؟
📖 هو كائن، وقد كان، وسيكون فيما بعد، مع الآب، والابن، من قبل كل العصور. لو استطعت أن تكوّن فكرة عما يمتد فيما وراء الزمان! فأنك ستجد الروح القدس فيما وراء هذا!

📖 لو فكّرت في الخليقة، فإن القوات السمائية قد أقسمت بالروح القدس، وإقامتهم في الحقيقة يكمن في أنهم لا يستطيعون أن يتركوا الصلاح. لأنه بالروح القدس، هذه القوات ترافق الله على الدوام، وهي هناك لا تستطيع أبداً أن تتجه إلى الشر، بل تثبت في القداسة إلى الأبد.
📖 حينما تجسد ربنا يسوع المسيح، حيث الروح القدس كان هو الفاعل، ومجيئه كان بالجسد، ولكن الروح القدس لم ينفصل عنه.
📖 أعمال المعجزات، ومواهب الشفاء، كانت تصنع بالروح القدس.

📖 الشياطين كانت تخرج بروح الله.
📖 الشيطان أنحدر إلى الجحيم في حضرة الروح القدس.
📖 الخطايا غفرت بنعمة الروح القدس.
📖 أنت أيضاً اغتسلت، وتقدست، وتبررت، في اسم الرب يسوع المسيح، وفى الروح الذي لإلهنا.
📖 الروح القدس هو الذي يعطى التبعية لله "الله أرسل روح ابنه في قلوبكم صارخا يا أبا الآب" {غلا ٤: ٦}، إقامة الموتى هي عملية الروح القدس "عندما ترسل روحك تخلق، وتجدد وجه الأرض" {مز ١٠٤: ٣٠}. لو فهمنا عملية الخلق بأنها تعنى أن ترجع الحياة للذين كانوا قد ماتوا، إذاً كم هو عظيم عمل الروح القدس، الذي يمنحنا الحياة في القيامة، ويجعل النفس تعيش في انسجام مع الحياة الروحية {التي هي عتيدة في القيامة}.

📖 إن نفوسنا ترتفع متعجبة بشدة من أن عملية الخلق هذه تعنى التغيير إلى الأفضل، لهؤلاء الذين سقطوا في الخطية، كما يقول معلمنا بولس الرسول: "هكذا إذا كان أي أحد في المسيح فهويكون خليقة جديدة" {٢كو٥: ١٧}، التغيير في هذه الحالة، يعنى: التجديد في هذه الحياة، والتحول من الشهوات العالمية، إلى الطريق السمائى الذي يحدث بفعل الروح القدس.

📖 بالنظر إلى كل هذه الأشياء، بالحقيقة أخشى إن أكون قد تعديت الحدود في شرح الشرف العظيم الذي للروح القدس، أو أكون قد أنقصت منه، لأن أفكارنا البشرية هي قاصرة عن أن تفهم ذلك الذي هو أعظم الأسماء {الروح القدس}.

📖 ٨ـ الروح القدس يغيرنا:

📖 ليتنا نعود للموضوع الأساسي، عندما ننقى العقل من كل الاهتمامات العالمية، ونترك وراءنا كل أشكال الحياة المحسوسة، ونرتفع بأنفسنا مثل سمكة من الأعماق إلى السطح.

📖 الآن ومن خلال خليقة نقية، نستطيع أن نرى الروح القدس، والآب، والابن الذي في نفس الطبيعة والجوهر، يظهر نفس الخير، والصلاح، والقداسة، والوجود.

📖 فقد قال داود النبي "روحك صالح" {مز ١٤٣: ١٠}،

📖 وقال أيضاً: "روحك مستقيم" {مز ٥١: ١٠}،

📖 وقال معلمنا بولس الرسول "المعطى الحياة بفعل الروح" {رو٨: ١١}. كل هذا ليس مستحدثاً، أو جاء في الوجود متأخراً، لأن الدفيء لا ينفصل عن النار، ولا التألق عن الضوء، وأيضا قوة التقديس وإعطاء الحياة، مع صفة الخير والصلاح، لا يمكن أن تنفصل عن الروح، لأن هنا تسكن الروح في الكيان الإلهي، وبالتالي لا نستطيع أن

نحصيها في صيغة الجمع، ولكن تظهر فقط في وحدانية الثالوث، وبدون انقسام. فبما أن الآب واحد، والابن واحد، كذلك الروح القدس أيضا واحد.

📖 الملائكة القديسين الذين يسهرون على خدمة الروح القدس، يظهروا لنا بشكل خاص أنهم يفوقوا العدد، ولكننا لا يجب أن ننظر إلى الخليقة بهذه الطريقة، بما يحدث خارجها، ونحكم على القداسة بالذين يُقدّسون، لأن الروح يملأ الملائكة، ورؤساء الملائكة، وهو يقدس قوتهم، ويعطى كل شيء الحياة.

📖 فالروح القدس ينتشر من خلال كل الخليقة، ويعطى من جوهره بدون أن ينقص بمضي الزمان، ويوزع نعمته لكل شيء ولكن هو بالذات لا يتشتت، ولكن باستمرار يعيد امتلاء كل الذي يزوره {المؤمنين به}، بدون أن يفقد أي شيء من نفسه.

📖 بالضبط مثل الشمس يشع ضوءها على كل شيء، وتعطى من نفسها، ولكن لا يمكن أن تنقص بمرور الوقت، فالروح يجود بعطاياه ويبقى كاملاً غير منقسم، هو يضيء طريق الله لكل الذين يطلبونه.

📖 يلهم الأنبياء، يعطى الحكمة للمشرعين، وروح الإرشاد للكهنة، يعطى القوة للملوك، والثقة للنبلاء والحكام، يشفى المرضى، ويقيم الموتى، يعتق الذين في القيود، يعول الذين لا عائل لهم.

📖 إذا وجد عشاراً يجعله تلميذاً، وإذا قابل صياد سمكٍ يجعله ناطقا بالألوهيات، وإذا وجد مضطهدا للكنيسة يصيّره رسولاً ينشر الإيمان، ويكون أداته المختارة. وهكذا يعمل الروح {في} الضعيف يصير إلى القوة، والفقير يصبح غنيا، والجاهل يتحول إلى حكيم.

📖 رغم أن بولس كان ضعيفا، ولكن وجود الروح القدس بداخله أعطاه قوة، حتى ثيابه كانت تشفى الأمراض. وعندما كان بطرس محاطاً بالمرضى، كان ظله إذا وقع على أي مريض شفى في الحال

من أسقامه. بطرس ويوحنا كانا رجلان فقيران لا يملكا ذهبا أوفضة، ولكنهما أعطيا عطية شفاء الأمراض التي تعتبر ذات قيمة أفضل من أكوام من قطع الذهب.

📖 فقد كان هناك رجل مقعد، الذي أخذ مالاً من كثيرين، ولكنه استمر يُعطىَ، ولكن بمجرد أن أخذ عطية بطرس، قفز مثل الغزال يمجد الله، ولم يعد يستعطي مرة أخرى.

📖 يوحنا الذي كان يجهل حكمة العالم، كان قادرا، وشاكرا على قوة الروح حتى أظهر الحكمة التي تفوق حكمة الحكماء.

📖 الروح في السماء، ولكنه يملأ الكون، وحاضر في كل مكان، ولا يمكن أن يكون مقيداً، هو كله موجود في كل شيء، وكله أيضا موجود مع الله.

📖 يوزع العطايا، ولكنه يختلف عن أي أحد آخر يعطى، لأنه يعطى بكامل سلطته، كما قال ربنا يسوع له المجد: "لأن كل من له يعطى فيزداد" {مت ٢٥: ٢٩}.

📖 فإنه يجعل توزيعه بإرادته، وبرغبته الحرة، ليتنا نصلى أن يكون دوما فينا، ولا يتركنا إلى الأبد، بنعمة إلهنا يسوع المسيح، له القوة والمجد إلى الأبد آمين.

📖 ٩- إيماننا ثابت:

📖 أصدقائي الأعزاء: رغم أننا صغار وضعفاء، إلا أننا كلنا متساويين أمام نعمة الله، التي لا يمكن أن تتغير بالظروف، أو الأحداث، لأنه لا يوجد إيمان في سيلوكيا، وآخر في القسطنطينية، واحد في زيلا، واحد في لامبساكيوس، وواحد في روما، والذين في المناطق المحيطة لا يختلفوا عن ذلك، لأن كل الإيمان واحد، وغير مختلف، كلنا تعمدنا

كوصية الرب يسوع، ولدينا إيمان ثابت، لأننا تعمدنا على اسم الثالوث، ونعبد الله كما نؤمن به.

📖 نحن لا نفصل الروح القدس عن الآب، أو الابن، ولا ندّعى أنه أكثر أهمية من الآب، أو الابن، كبعض الهراطقة، الذين يحاولون أن يدّعو ذلك، من يتجاسر أن يرفض قوانين الله، أو يقدر أن يرتب أسماؤه بالأوليات؟!

📖 وأيضا لا ندّعى أن الروح القدس وُجد بعد الآب والابن، ولا أن دوره في الإرشاد بطريقة أو بأخرى أقل أهمية.

📖 أننا نتأكد بالكلمات التي قالها الله "كل خطية وتجديف يغفر للناس، أما التجديف على الروح القدس فلن يغفر، لا في هذا العالم ولا في الآتي" {مت ١٢: ٣١}. احترس من التجديف على الروح القدس.

📖 استمر ثابتا على إيمانك، وعندما تنظر حول الكنيسة تأكد أن جزءاً فقط منها هو المريض، أما الباقين كلهم استقبلوا الأخبار الجيدة إلى أبعد مدى، وقبلوا هذا الإيمان الجيد والصحيح الذي نعلمّه. نحن نصلى إلا نلقى خارجاً معهم في يوم الدينونة، عندما يوزع إلهنا يسوع المسيح مصيرنا كلّ حسب أعماله.

كتاب الطريق إلى الفردوس - القديس باسيليوس الكبير صفحة ٢٠ - ٣١

{٩}

القديس أوغسطينوس

الإيمان هو رأس الحياة الروحية

📖 الإيمان المستقيم هو رأي الحياة الصالحة، التي تحق لها الحياة إلى الأبد. ويقوم الإيمان على القبول بما لا تري، وجزاؤه أن تري ما تؤمن به. زمن الإيمانُ هوزمن الزرع، إحذر من أن يفوتك، وثابر عليه حتى النهاية، حتى تحصد ما زرعتَ.

📖 الإيمان بالله أولي الوصايا. وهو بداية الدين، والحياة فيك.
📖 ثبتّ قلبك في الإيمان، ثم عشْ حياةً صالحة، مترفعاً على كل ما يغري، متحملاً آلام هذا الدهر، حتى إذا غالت في ملاطفتك، أوفى تهديدك، لا يجرفك تيارها، ولا تحطّمك شدَّتها، بل فليصمُد قلبك بوجهها. لن تحيا حياة صالحة إلا إذا بدأت تؤمن.
📖 ومتى رعيت الإيمان، زيد لك الباقي.

📖 كثيرون يفاخرون بأعمالهم، وكثيرون ممَّن لا يؤمنون يأبون أن يعتنقوا الدين المسيحي، معتقدين بأنهم يحيون حياة صلاح، مكتفين بخيور هذه الدنيا، قائلين بضرورة الحياة الصالحة.
📖 وبما يوصينا السيد المسيح؟ أيوصينا بأن نحيا حياة صالحة؟
📖 ها أنّا نحيا بالصلاح، وليست لنا حاجة إلى المسيح.
📖 نحن لا نقتل، ولا نسرق، ولا نسلب، ولا نشتهي مقتني غيرنا، ولا نزني، لا شيء في حياتنا يستحق اللوم.

📖 إن كل عمل مستقيم يأتيه إنسان، لا يمكن أن يكون مستقيماً إذا لم يرتبط بتقوى الله، وإذا لم يكن الإيمان سباقاً، فلا صَلاح في الحياة.
📖 أسمع الرسول: "وبغير إيمان لا يستطيع أحد أن يرضي الله" {عب١١:٦}. تظن أن أعمالك شجرات صالحات، إنما، يكفي لكي تكون غير صالحة، أن تكون بلا ثمر أمام الله. لا تعتبر صالحاً عملاً أتيته قبل أن تؤمن، لا صلاح حيث لا إيمان.
📖 النية تكونّ العمل الصالح على نور الإيمان. لا تنظر كثيراً إلى ما تعمل، بل أنظر إلى ما تبتغيه من عملك هذا، ثم انظر إلى نشاط إرادتك الصالحة.

📖 تصوَّر ربَّاناً يقود سفينته بمهارة، وقد ضيع وجهة سفره، إذ ذاك ماذا يفيده أن أمسك جيداً بدفة السفينة، ووجهها بحكمة، وجابه

الأمواج بمقدمتها، وحفظ التوازن لجانبيها؟ وبالرغم من تلك الجهود الجبارة التي يبذلها ليسير بالسفينة حيث يشاء، هبْ أن واحداً سأله قائلاً: إلى أين؟ وهب أنه أجاب: لا أدري، أو إلى هذا الميناء، ثم اصطدم بصخرة وتحطم، أكيد أن ذاك الرجل الذي يقود سفينته بمهارة وقدرة نادرتين، يسير بها حتماً إلى الغرق.

📖 تلك هي حال من يعدو بسرعة خارج الطريق، أليس من الفضل لهذا الربان أن يكون أضعف مما هو عليه، ويسيّر دفة سفينته بصعوبة وحذر، ويحافظ على الوجهة الواجب أتباعها؟

📖 ليته أقل نشاطاً وحذقاً، وسار في الطريق، ولم يسرع خارجاً عنه.

📖 ممتاز هو ذاك الذي يتبع الطريق، ويسير عليه سيراً حسناً، ثم يتبع خطاه أخر، وإن تأخر أحياناً فلا يتأخر عن ضلال، أو ليبقي، بل لكي يتقدَّم على مهل.

📖 إننا نرجو وصول من يحب أن يصل إلى غايته، ولو متأخراً.

📖 تأمّل هذه المقارنة: الإيمان في النفس جذر صالح، يُخصبُه المطر.

📖 والكفر أصل الشرور كلها، وشبيه بجذر الشوك الذي إذا سقطت عليه قطرات قليلة من المطر حوَّلته إبراً حادة.

📖 لا جمال في الجذر الصالح، إنما جماله كامن في باطنه.

📖 حين تنظر إلى شجرة جميلة مخضره تعجب بها، ويطيب لك أن تتناول من ثمرها، وأن تستريح في ظلها أثناء الحر، وتمتدح جمالها، وإذا كشف لك عن جذورها، فلا تحتقر ما خفي منه، إذا عنه ينبثق ما يروقك حسّه. كل ما ينطلق من الإيمان عظيم، وهكذا فقد تعوَّد الجهال أن لا يقدروا أساس البناء حق قدره.

📖 في البدء تحفر حفرة عميقة، ثم تردمها بالحجارة بلا جمال، ولا رونق، وتنظر إلى الأساس ولا تفرح به، ثم تنظر إلى البناء وقد ارتفع فتتعجب به! يا أحمق، إن ما أعجبت به مرتكز على ما احتقرته!!

📖 تلك هي حالك: إن لم يكن الإيمان فيك سباقاً، فلا مجال لحياة صالحة. إن لم يستقم إيمانك فلست باراً، لأن البار بالإيمان يحيا.

📖 وإن لم يكن فيك إيمان فلا مجال للصلاة، وكيف تصلي لمن لا تؤمن به؟ الإيمان هو ينبوع الصلاة.

📖 ويُظهُر الرسول أن الإيمان هو ينبوع الصلاة، وأن الساقية تجف متى جفت ينابيعها قائلاً: "وكيف يدعون إلى من لم يؤمنوا به" {رو١٠} وبالنتيجة آمن لكي تصلي. وصلّ حفاظاً على إيمانك الذي به تصلي. الإيمان يفيض صلاة، والصلاة المفاضة تقوي الإيمان.

📖 وحفاظاً على الإيمان من التجارب، قال السيد: "سهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" لوقا٢٢:٤٦. بقدر ما يضعف فينا الإيمان، تقوى علينا التجربة، وبقدر ما نقاوم التجربة، يقوى فينا الإيمان.

📖 الإيمان النقي يحيا وسط تجارب هذا العالم وضيقاته.

📖 العالم يهتز، أما الإيمان فلا يتزعزع. آمن تصبحْ أهلاً لأن تفهم.

📖 على الإيمان أن يسبق الإدراك، ليكون الإدراك جزاء الإيمان، والنبي أوضح هذا الأمر حين قال: "وأنتم إن لم تصدقوا فلن تثبتوا" أشعياء٧:٩. من اللازم أن تؤمن بما تبشر به ببساطة، لأن غاية العقل أن يناقش بدقة. بالإيمان تتحد، وبالعقل تحيا.

📖 يجب عليك قبل كل شيء أن تتحد بواسطة الإيمان، لتحيا بواسطة العقل. إن لم تتحد تقاوم، وإن كنت تقاوم فلست مؤمناً، وإن كنت تقاوم فكيف تحيا؟ إنكَ تجعل نفسك عدواً لشعاع النور الداخل فيك، حين لا تشيح بنظرك عنه، بل بعقلك وتقول: كل واحد على الإطلاق يريد أن يفهم.

📖 فمن الواجب عليَّ إذاً أن أفهم حتى أؤمن، فأجيب آمنْ تفهم.

📖 الإيمان مرقاة، عليها تبلغ الفهم، والفهم جزاء الإيمان.

📖 للإيمان نور خُص به دون سواه من الكتب المقدسة، والأنبياء، والإنجيل والقراءات الرسولية، إن كل من يقرأ في حينه لهو شبيه بسُرج في ظلمة، تساعدك على أن تري النور.

📖 يا أحمق، أتريد أن تصعد وتنسى المرقاة؟! لو تمكنت الآن من أن أريك ما سوف تري، لما حرضتك على الإيمان، لأن الإيمان هو الإيقان بحقيقة الأمور غير المرئية" عبرانيين١١:١.

📖 أعطاك الله عينين جسديتين، وعقلاً باطنياً: أيقظ عقل قلبك، وأرفع الساكن في عينيك الباطنيتين ليفتح نوافذه، ويتأمل في خليقة الله.

📖 في باطنك يقيم من ينظر من خلال عينيك، إذا فكرت بعكس الحقيقة التي فيك، فلا تري ما هو أمامك.

📖 عبثاً تُشرع النوافذ في غياب من يحُبّ أن ينظر خلالها.

📖 الأعين لا تري، إنما هنالك من يري بواسطتها: أيقظه، وأرفعه!

📖 أرفع نظر العقل، واستعمل عينيك كإنسان، أنظر إلى السماء والأرض. إلى السماء الجميلة، والأرض الخصبة، والطيور الطائرة، والأسماك السابحة في المياه، وإلى الزروع النامية، والأوقات المنظمة. تأمل هذه كلها وأبحث عن صانعها، أنظر إلى ما تري وأسألْ عمَّا لا تري. آمن لما لم ترَ، من أجل الأشياء التي تراها.

📖 زمن الإيمان زمن شاق، ومن ينكره؟ إنما العمل موعود بالمكافأة.

📖 لا تكن كسولاً في عمل ترجو عليه أجراً. الإيمان يدرك ما لا يدركه العقل البشري، وحيث يعجز العقل ينمو الإيمان.

عواطف وصلوات

📖 عليَّ أن ابدأ يا ربّ بالإيمان، لأصل إلى المشاهدة.

📖 أني أعدو على الطريق في طلب الوطن، وتقول نفسي في السفر "أيها السيد أن بغيتي كلها أمامك، وتنهّدي غير خفيّ عليك" ٣٧:١٠.

📖 وفى الوطن لن يبقي مجال للصلاة بل للحمد، لأن كل شيء موفور. سوف أري هناك ما أؤمن به هنا، وما أرجوه هنا سوف احصل عليه هناك. وما أطلبه هنا سوف أناله هناك.

📖 أنظر الآن ما أري، وأؤمن بما لا أري.

📖 لقد دعوتني إلى الإيمان، ولم تتخل عني، وبرغم إنكَ أمرتني بأن أؤمن بما لا أستطيع أن أراه، فلم تتركني بدون رؤية شيء، أؤمن بواسطته بما لا أري. ما كنت قادراً على أن أراك إلهاً بل إنساناً. لقد صرت إنساناً ليكون من أراه وأؤمن به واحداً.

كتاب خواطر فيلسوف في الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ٨١ ـ ٨٥

{١١}

القديس نيقوديم الاثوسي

الفصل الرابع

كيف يعرف المرء أنه يضع ثقته بالله

📖 يزعم المتكلون على ذواتهم أن ثقتهم بالله، واتكالهم عليه، وأن ليس فيهم اعتماد على ذواتهم البتة. والحال ليس هكذا أبدا، ويمكنهم تبين هذا إن هم دققوا في نفوسهم حينما يتهورون.

📖 فإذا كان الحزن يلازمهم ساعة السقوط، فيعيرون أنفسهم قائلين هكذا: سأقوم بهذا، وأفعل ذاك، كي أتجاوز ما حصل، والكل سيكون على أفضل حال. إن في هذه المزاعم علامة بينة على الثقة بالنفس، وعدم الاتكال على الله.

📖 فالحزن الناجم عن السقطة يكون كبيرا في الاعتماد على الذات، أما الذي يضع رجاءه بالله، فإنه لا يتعجب، ولا يذهل ساعة السقطة، ولا يحزن إلى حد الإفراط.

فهو يدرك أن السقطة نتيجة ضعفه، ونتيجة انعدام ثقته باللـه، وهكذا تنكشف له نفسه بالزلة، فيحتمل الكل، ليتقدم في التعلق باللـه والثقة به. وبالتالي فإنه يحتمل مستلزمات التوبة، في يقين بأنه قد أهان اللـه. وهذا يقوم به بسكينة وهدوء متسلحا باللـه على نحو أفضل وأمثل، لمقاومة أعدائه بشجاعة وبإصرار، حتى الموت.

وأسوق مثلا من الناس الذين يزعمون أنهم رجال الروح والفضيلة، لكنهم سرعان ما يسقطون في الغم والكآبة بعد السقطة، فلا يعثرون على سلام ولا يطلبونه، بسبب الإيغال في محبة ذواتهم.

وهكذا يهرعون إلى الأب الروحي جاعلين ثقل الخطيئة أمامه كي يتنقوا من رجاستها ويقووا على أنفسهم بواسطة السر الأقدس، سر التوبة والاعتراف.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ٥٢



الفصل السادس

أمور بها تصير الثقة باللـه كاملة

لما كانت القوة التي بها نغلب أعدائنا، تقوم في عدم اعتمادنا على أنفسنا، وفى ثقتنا ورجائنا باللـه، كان لابد أن يتوفر عندك يا أخي علم جلي بهذا، لأنك به تأخذ القوة مقرونة بمعونة اللـه.

فاعلم يقينا أن ليست طاقاتنا، سواء الفطرية منها أو المكتسبة، ولا المواهب الممنوحة لنا مجانا، ولا معرفة الأسفار المقدسة، ولا الأعمال التي عملناها من أجل اللـه عبر السنين، ولا كل هذه معا، تؤهلنا أن نفعل إرادة اللـه كما ينبغي.

فإن كنا أمام عمل جليل ننوي القيام به.

أو أمام تجربة نسعى إلى تحاشيها.

أو عندنا صليب علينا أن نحمله بمقتضى إرادة اللـه.

فإن لم ترفع معونة اللـه قلبنا، وتمده بالقوة، فالكل بدون جدوى لأن الرب قال: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" " يو١٥: ٥ ". لذا يتوجب علينا طوال حياتنا، وفى كل يوم، وساعة، ولحظة، أن نضع نصب أعيننا عدم الاعتماد على ذواتنا، بل نرجوعلى الدوام الاعتماد على اللـه.

أما من جهة الثقة باللـه، فاعلم أنه قادر على نصرتك ضد أعدائك، سواء كانوا قليلين أم كثيرين، ضعفاء أم أقوياء، لكن أوقاته ومواعيده خاصة، وهي قادرة على منح النصرة مهما كانت النفس محملة بالخطايا في العالم، ومهما كانت ملوثة، ومهما تقلبت في التجارب، واستخدمت كل الوسائل كي تتحرر من الخطيئة، وتصنع الخير دون أن تقطف ربحا صغيرا مهما كان.

لا بل على العكس فإن سقوطها في الشر صار أعمق.

فمهما حصل، لابد للنفس أن تتمسك بالثقة باللـه، دون أن تتخلى عن أسلحتها الروحية، عليها أن تجاهد بكل شجاعة دون التوقف عند حد. لذا عليك أن تدرك أن الجميع يخسرون في الحرب الروحية، ما عدا أولئك الذين يواظبون على الجهاد، جاعلين رجاءهم في اللـه.

اللـه لا يهمل أحدا، رغم أنه يسمح لهم أحيانا أن يحتملوا الجراح. فليجاهد كل واحد، لأن الجهاد هو للجميع في مثل هذه الحرب.

الأدوية جاهزة وفعالة، والرب يعطيها للمجاهدين الذين يتطلعون إليه بثبات ورجاء. وهكذا فإن المجاهدين في أو إن غير متوقع، سيرون أعداءهم يتقهقرون كما كتب: لقد توقفت عسكر بابل عن الحرب ار٥١: ٣٠

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ٥٤ ـ ٥٥



{١٢}

سمعان اللاهوتي الجديد

📖 **١ـ الإيمان هو:**

📖 استعداد الإنسان أن يموت من أجل المسيح، ومن أجل وصاياه، مقتنعا بأن هذا الموت يجلب الحياة. الإيمان هو اعتبار الفقر كالغنى.

📖 وعدم الأهمية واللا شيئية كالشهرة الحقيقية والمجد.

📖 وكون الإنسان صفر اليدين هو اليقين أنه يمتلك كل شيء.

📖 وفوق كل ذلك، الإيمان هو نوال الكنز الخفي غير المرئي في معرفة المسيح، معتبرا كل ما هو مرئي كأنه تراب أو دخان.

📖 **٢ـ** الإيمان بالمسيح ليس مجرد إهمال ملاذ الحياة، بل أيضا الاستعداد الصالح، والصابر للنفس على احتمال التجارب، سواء كانت كئيبة، أو حزينة، أو أحداثا مزعجة، إلى أن يشاء الله فيتطلع إلينا ويرعانا. هكذا نريد أن نحاكي داود النبي الذي يقول: "انتظارا انتظرت الرب فمال إلى وسمع صراخي" مز٤٠: ١.

📖 وبعبارة أخرى، حملت أحزاني رجاء أن يساعدني الرب. لذلك عندما رآني الرب منتظرا عونه في ثبات، نظر إلى وأظهر لي رحمته.

📖 **٣ـ** هؤلاء الذين يفضلون والديهم على إتباع وصايا الله، ليس لهم إيمان في المسيح. حقا أن ضميرهم لو كان حيا فيهم يفضحهم لافتقارهم إلى هذا الإيمان، لأن السمة الحقيقية للمؤمنين الصادقين هي عدم التعدي على أي وصية من وصايا الله العظيم مخلصنا يسوع المسيح.

📖 **٤ـ الإيمان بالمسيح:** الإله الحق، يلد الاشتياق إلى النعم الأبدية، والخوف من العذاب. هذان الأمران يؤديان إلى مراعاة الوصايا، لأن المراعاة الدقيقة للوصايا تعلم الناس الإدراك العميق بضعفهم.

📖 هذا الإدراك بضعفنا الفعلي يلد ذكر الموت.

📖 وكل من يذكر الموت رفيقا دائماً له، يطلب في ألم معرفة ما ينتظره بعد رحيله من هذه الحياة، وكل من يحاول بعناء وباهتمام أن يعرف شيئا عن الحياة المقيدة، يجب أولا أن يحرم نفسه من الحاضر، أي من نعم وأمور هذا العالم، لأن كل من يتعلق بأي شيء من أمور الدنيا مهما كان صغيرا تافها، لا يستطيع أن يحصل على المعرفة الكاملة عن النعيم الأبدي.

📖 حتى لوشاء الله أن يمنحه بعض التذوق لهذه المعرفة، إذا لم يترك الإنسان في الحال ما يحبه، ولا يستسلم فقط إلى العمل في الحصول على هذه المعرفة، ولا يسمح لنفسه مطلقا أن يفكر في أي شيء آخر، حينئذ سوف يحرم حتى من المعرفة التي يظن أنه يدركها.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الرابع ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٢٩ ـ ١٣٠

إلى هؤلاء: الذين يقولون إن الذين يعيشون في العالم
لا يستطيعون الوصول إلى الكمال في الفضائل.
لنبدأ بقصة عظيمة الفائدة.

📖 حسنا أن نبشر جميع الناس برحمة الله، وأن نظهر للإخوة رحمته العظيمة، ونعمته التي تظللنا، والتي تفوق الوصف، أعرف رجلا لم يواظب بدقة على الصوم الطويل، وصلاة الليل، ولا على النوم على الأرض العارية، ولم يكلف نفسه عناء القيام بأعمال شاقة.

📖 لكنه عندما يسترجع في ذاكرته ذنوبه وخطاياه، يعرف عدم استحقاقه، وعندما يدين نفسه يصير ذليلا كسير القلب، لهذا السبب وحده خلصه الرب أرحم الراحمين، كما قال داود النبي "قريب هو الرب من المنكسرى القلوب، ويخلص منسحقي الروح" {مز٣٤: ١٨}.

📖 ولأنه صدق كلمات اللـه، ولإيمانه قبله الرب. توجد عقبات عديدة تقف في الطريق إلى الاتضاع، لكن لا توجد معوقات تسد الطريق إلى تصديق كلمات الرب، عندما نرغب من كل قلبنا، نؤمن فورا، لأن الإيمان هو هبة اللـه الكلى الرحمة، الذي أعطانا إياه لنقتنيه بالطبيعة، ونخضع استعماله لإرادتنا الخاصة.

📖 وبناء على ذلك نجد حتى للسكيثيين {ينتسب هؤلاء القوم إلى مدينة سكيثى التي يشتهر سكانها بالشراهة والهمجية} والبرابرة إيمانا طبيعيا، لأن كلا منهم كان يثق في الآخرة. ولكي أبين لكم مثلا واقعيا عن إيمان القلب الكامل استمعوا إلى القصة الآتية التي تؤكد ذلك:

📖 عاش في القسطنطينية شاب يافع اسمه جرجس يناهز العشرين ربيعا، "حدث كل هذا في أيامنا هذه واستوعبته ذاكرتنا"، كان شابا وسيم الطلعة، يتسم سلوكه وهيئته وخلقه بشيء من التباهي.

📖 ونظرا لاهتمام الناس بالمظهر دون المخبر، يكون دائماً حكمهم على الغير خاطئا، فافتروا على هذا الشاب. وقد تعرف على أحد الرهبان الأتقياء الذي كان يعيش في أحد أديرة القسطنطينية، وعندما أظهر للراهب أسرار نفسه، وأعلمه برغبته الحارة في خلاص نفسه. زوده الأب الورع ببعض التعاليم المناسبة، وأعطاه قانونا بسيطا ليتبعه، وزوده بكتاب القديس مرقس المناضل الذي ألفه عن القانون الروحي.

📖 تناول الشاب هذا الكتاب بكل محبة وتقدير كأنه مرسل إليه من اللـه نفسه، وبلغ فيه إيمانا قويا آملا أن يجنى فائدة عظيمة وثمرا كثيرا. وقرأ الكتاب بحماس واهتمام وحصل على مساعدة عظيمة منه. لكن ثلاث فقرات من الكتاب أثرت في قلبه تأثيرا خاصا وعميقا.

🕮 كانت الأولي: إذا كنت تبحث عن الشفاء، فاهتم بضميرك، وأصغ إليه، ثم افعل ما يخبرك به، فهذا يفيدك.

🕮 والثانية: إن من ينشد الحصول على نعمة الروح القدس الفعال قبل ممارسته الوصايا، يشبه عبدا اشترى بمال ودفع ثمن شرائه في اللحظة التي كان منتظرا فيها التوقيع على صك حريته.

🕮 والثالثة: إن من يصلِ بالجهد، دون الباعث الروحي، يشبه الأعمى الذي صرخ قائلا "يا ابن داود إرحمني" مر١٠: ٤٨. بينما الأعمى الآخر، عندما فتح الرب عينيه وأبصر، لم يقل يا ابن داود، بل آمن بأنه ابن الله وسجد له يو٩: ٣٥، ٣٨.

🕮 هذه الفقرات الثلاث سرته وأرضته كثيرا، فآمن بأن الفقرة الأولي تؤكد أن الاهتمام بالضمير يشفى أمراض النفس، والفقرة الثانية تعلم أن الإنسان يصير عاملا نشطا بالروح القدس عن طريق إطاعة الوصايا، والفقرة الثالثة تعد بأن عيني قلبه تفتحان بنعمة الروح القدس، ويرى جمال الرب الذي يفوق الوصف، وهكذا تصور الشوق القوى نحو جمال الله، وبحث في جدية آملا الحصول عليه.

🕮 رغم كل هذا لم يفعل شيئا خاصا كما أكد إلى، سوى أنه كان يتدرب كل مساء دون انقطاع حسب القانون البسيط الذي أعطاه له رئيس الدير، ولم يذهب قط إلى مخدعه لينام دون أن ينفذ ما جاء به، لكن بعد مدة ابتدأ ضميره يحثه "أكثر من السجود والانبطاحات، وزد من قراءة المزامير، وكرر عبارة ياربى يسوع المسيح ارحمنى مرات كثيرة جدا على قدر الإمكان".

🕮 أطاع ضميره وفعل كل ما أوحى إليه عن طيب خاطر، ودون تفكير كما لوكان أمرا صادرا من الله نفسه، لم يذهب مطلقا إلى مخدعه بضمير يؤنبه: "لماذا لم تفعل هذا أو ذاك " هكذا كان يصغى دائماً إلى ضميره، غير تارك شيئا دون أن يؤديه حسب ما أوعز إليه.

📖 وكل يوم كان ضميره يضيف شيئا أكثر فأكثر عما تعود عليه، وبعد أيام قليلة كانت صلاته المسائية تستوعب زيادة كبيرة. كان يقضي أيامه في أحد بيوت رجال الدين، حيث يقدم الطعام، ويقضي حاجات السكان هناك، لكنه ينصرف كل مساء ولا يعلم أحد عما كان يصنع في مسكنه. وكل ما كان يفعله حقا هو اذرافه الدمع غزيرا، وسجوده وركوعه مرات عديدة، وانبطاحه بوجهه على الأرض في خشوع، وعندما يقف للصلاة يقف منتصبا ضاغطا قدميه معا بإحكام دون أن يحرك جسده، وبقلب مكتئب، وبالتنهدات والدموع كان يتلو الصلوات إلى القديسة مريم، موجها كلامه إلى ربنا يسوع المسيح، ويقع تحت قدمي صورة المسيح الطاهرتين، كما لوكان المسيح واقفا بجسده، ويتضرع إليه أن يرحمه، كما رحم الرجل الأعمى، وأن يفتح عيني نفسه.

📖 كانت صلواته كل مساء تطول باضطراد، حتى كان أخيرا يصلي واقفا إلى منتصف الليل. ومع ذلك لم يسمح لنفسه مطلقا أثناء الصلاة بالتراخي، والإهمال، أو بالتساهل في الوقوف، ولم يدع أبدا عينيه تدوران يمنة أو يسرة، أو إلى فوق ليتطلع إلى أي شيء، بل كان يقف دون حراك كأنه عمود أوبلا جسد.

📖 وذات مرة، عندما كان واقفا للصلاة، زاد القول بعقله أكثر من القول بشفتيه "إرحمني يا إلهي أنا الخاطئ".

📖 وإذا بإشراق إلهي وضاء نزل عليه من فوق وملأ الحجرة كلها. عندئذ نسى الشاب أنه في حجرة، أو تحت سقف لأنه لم ير شيئا في كل جهاتها غير النور، ولم يكن يدري أنه واقف على الأرض. كل اهتمامات الدنيا تركته، ولم يدر بخلده الأفكار العادية التي تشغل عقول الناس. أصبح بكليته ذائبا في هذا النور الاستحالى، وبدا له أنه صار نورا.

📖 نسى كل العالم وامتلأت عيناه بالعبرات، وغمره فرح يفوق الوصف. عندئذ ارتفع عقله إلى أعلى نحو السماء، وهناك رأى نورا آخر. أكثر ضياء من النور الذي كان يحيط به. ولدهشته بدا له هناك عند حافة هذا النور يقف الراهب البار الملائكي الذي كان قد أعطاه هذا التعليم البسيط عن الصلاة مع كتاب القديس مرقس المناضل.

📖 عندما سمعت هذا الشاب، حسبت أن صلوات رئيس الدير له قد ساعدته، وأن الله وهبه هذه الرؤيا ليبين له المستوى العالي من الفضيلة الذي يقف عنده رئيس الدير. وكما قال الشاب بعد ذلك، إنه عندما اختفت الرؤيا وثاب إلى رشده، وجد نفسه مفعمة بالفرح والدهشة، وكانت عيناه تسكبان دموعا غزيرة. وقلبه مملوءا عذوبة وطلاوة.

📖 وأخيرا ذهب إلى فراشه، ولكنه في الحال سمع صياح الديك، فعلم أن الوقت قد جاوز منتصف الليل. وبعد قليل سمع دقات أجراس الكنيسة معلنة صلاة الفجر، فقام الشاب حسب عادته ليقرأ صلوات الصباح الباكر هكذا لم يغمض لعينه جفن في تلك الليلة، ولم يخطر بباله فكرة النوم مطلقا.

📖 كيف حدث كل هذا؟ الله وحده يعلم، لأن ما حدث كان من عمله الغامض علينا. ومع ذلك لم يعمل الشاب شيئا خاصا، إلا أنه كان يقوم دائماً في إصرار على تنفيذ القانون الذي أعطاه إياه رئيس الدير. وكان يتبع كل تعليمات الكتاب الصغير بإيمان ثابت ورجاء قوى.

📖 لا تدع أي إنسان يقول إنه فعل هذا كتجربة. لأن مثل هذا الشيء لم يخطر على باله. الذي يقوم بعمل تجارب لا يكون إيمانه ثابتا، لكن هذا الغنى كان متلهفا على إنجاز ما يوحى إليه ضميره تماما، لأنه لم ينفعل بعد بأمور هذه الدنيا، ولم يجد لذة في الطعام والشراب حتى الشبع.

📖 هل سمعتم أيها الإخوة؟ ما الذي يستطيع الإيمان بالله أن يفعله عندما يظهر في الأعمال الصحيحة؟ هل عرفتم أن الشباب لا يعوق، وأن تقدم السن لا يساعد، إذا افتقر الإنسان إلى الإدراك وإلى خوف الله؟ هل تحققتم أن العالم واهتماماته لا يحول دون إتمام وصايا الله، إذا ما أوجدت الغيرة والانتباه؟ وأنه لا فائدة من الصمت والاعتزال عن العالم، إذا تفشى الكسل والإهمال؟

📖 عندما سمعنا عن داود بتعجب نقول: كان يوجد داود واحد فقط ولا نظير له. لكن هنا ترون شيئا أعظم مما في داود ظهر في هذا الشاب. تسلم داود شهادة من الله، ومسحه ملكا ونبيا، ونال الروح القدس وحصل على ضمانات عديدة من الله. ولذلك عندما أخطأ وفقد نعمة الروح القدس وموهبته كنبي، أصبح محروما من التحدث مع الله، هل تدهش لأنه عندما تذكر النعم التي تخلى عنها وفقدها.

📖 عاد مرة ثانية يطلبها من الله؟ لكن هذا الشاب لم يرتكب شيئا من هذا القبيل، كان مرتبطا بشئون العالم ويهتم فقط بها، ولم يكن لديه وقت حتى يفكر في شيء أعلى من الأرضيات، ومع ذلك "ما أعجب طرق الرب!" حالما سمع كلمات قليلة من رئيس الدير، وقرأ ثلاث فقرات من كتاب القديس مرقس المناضل. آمن في الحال بما سمعه وقرأه دون ظلال من الشك، ونفذ برجاء ثابت كل ما جاء به.

📖 هكذا بالعمل البسيط الذي قام به، وبشفاعة العذراء القديسة مريم، استحق أن يرفع عقله إلى السماء. وبصلواتها نال رحمة الله، واستمال إليه نعمة الروح القدس، التي احتوته بقوة عظيمة حتى أمكنه رؤية النور الذي يتوق إليه الكثيرون. ولكن لا يمنح إلا لفئة قليلة من الناس.

📖 هذا الشاب لم يحافظ على الأصوام الطويلة، ولم ينم على الأرض العارية، ولم يلبس قميصا من الشعر، ولم يترك العالم بجسده بل بروحه فقط "باستعداد في نفسه" كان يحافظ على الصلاة الليلية القصيرة، فأصبح أعظم من لوط العجيب في سدوم، أو بالحري أصبح ملاكا في جسد إنسان "في الظاهر إنسان وفى الباطن ملاك" لذلك منح رؤية النور الكلى الحلاوة لشمس الحق الروحية ربنا يسوع المسيح الذي سوف يهبه نور الحياة الأبدية.

📖 هكذا حدث في الحقيقة، لأن محبته والتصاق قلبه بالله نتج عنه الانجذاب الروحي الذي فصل روحه ونفسه عن هذا العالم، وبدل هيئته كلية إلى نور الروح القدس.

📖 ومع ذلك استمر يعيش في المدينة كرئيس خدم في أحد البيوت الكبيرة حيث كان يقوم بخدمة الرجال الأحرار والعبيد من سكانه مؤديا واجبه في هذا العالم.

📖 قلت ما فيه الكفاية في مدح الشاب، وأحثكم على أن تتشبهوا به في محبته، وأن تنتهجوا نهجه وتحذوا حذوه.

📖 هل يمكن أن يكون هناك شيء أعظم وأكمل من خوف الله؟ لا شيء بالطبع. قال القديس غريغوريوس اللاهوتي: "أول الحكمة هي مخافة الله. فأينما توجد المخافة يكون حفظ الوصايا، وبحفظ الوصايا يتطهر الجسد، من هذه السحابة التي تغشى النفس وتمنعها من رؤية الشعاع الإلهي بوضوح، وحيث يتطهر الجسد هناك يبزغ النور، ويحقق إشراقة أمنية تفوق كل الأمنيات".

📖 في هذه الكلمات أظهر لنا أن الاستنارة بالروح القدس هي الهدف الدائم لكل فضيلة، وكل من يحصل على هذه الاستنارة بواسطة الروح القدس ينهى كل شيء حسي، ويعيش بوجدانه ووعيه في الأمور الروحية وحدها.

📖 هذه يا إخوتي هي عجائب اللـه. واللـه يرشد عبيده الخفيين إلى المكشوف، كي يحاكيهم محبو الصلاح والبررة، بينما يترك الأشرار دون عذر.

📖 حتى الذين يتحركون بين الجموع ويقضون حياتهم بين تقلبات العالم، ينالون الخلاص، إذا عاشوا حياة الضرورة.

📖 ومن أجل الإيمان الذي يظهرونه لله، يغدق عليهم النعم الجزيلة، حتى أن هؤلاء الذين يتعثرون في الحصول على الخلاص، بسبب كسلهم وإهمالهم لا يكون عندهم ما يقولونه في تبرير أنفسهم يوم الدينونة.

📖 حتى هو الكلمة الذي وعد بإعطائنا الخلاص من أجل الإيمان به! لذلك يا إخوتي الأحباء ادعوا لأنفسكم ولى أنا الذي أحبكم وأسكب العبرات دائماً لأجلكم. إن اللـه الغفور الرحيم أمرنا بأن نكون أيضا رحماء، وأن نهتم بأنفسنا وأن يهتم كل منا بالآخر، آمنوا باللـه من كل قلوبكم، وأكرهوا هذا العالم كما يجب أن تكرهوه، ولا تهتموا بنعمه الزائلة غير المأمونة، بل جاهدوا في سبيل اللـه والتصقوا به، لأنه في لحظة ينتهي العالم، وتنهى هذه الحياة، وويل لهؤلاء الذين يسقطون من ملكوت اللـه.

📖 إن العبرات تخنقني وأبكى وأحزن من كل قلبي، عندما أتصور ذلك، ولو أن لنا إلها كريما رحيما، الذي من أجل إيماننا الصادق به يمنحنا هذه النعم العظيمة العجيبة، التي تفوق كل تصور وسمع وترقب. ومع ذلك لا نزال عديمي التفكير مثل الحيوانات البكماء، ونفضل العالم، والأشياء التي في العالم، والتي من رحمة اللـه علينا أعطانا إياها لفائدة أجسادنا من أجل تغذيتها في اعتدال.

📖 ويجب على النفس أن تسعى دون عائق إلى الارتقاء نحو الخالق، كي يغذيها بالطعام الروحي المنبثق من نعمة الروح القدس حسب قامة النفس، من حيث التطهير والتجديد.

📖 لأن الله خلقنا كائنات ذكية فلنمجده ونشكره ونحبه من أجل أقل النعم المعطاة لنا لمطالب حياتنا الحاضرة، ونصير مستحقين لنوال النعم الأبدية العظيمة في الحياة الأبدية.

📖 لكن ويل لنا لأننا لم نهتم بالمستقبل، ونظل عاقين ناكري الجميل لله حتى فيما نملك، هكذا نكون كالشياطين، أو بالأصح أسوأ منها. وعلى ذلك فمن العدل أن نتعرض لعذاب أفضل منها. ولأننا أكثر تفضيلا عنها صرنا مسيحيين، ولدينا مواهب روحية كثيرة، ونؤمن بالله الذي تجسد من أجلنا، وقاسى أنواعا شتى من العذاب الأليم، ومات على خشبة الصليب كي يحررنا من أخطاء الباطل والإثم.

📖 لكن ماذا أقول عن كل هذا؟ ويل لنا! نحن نؤمن بالله بالكلام فقط، وبأعمالنا نبعد عنه، أليس اسم المسيح يذكر في كل مكان، في المدن، والقرى، والأديرة، وعلى الجبال؟ إلا يوجد مسيحيون في كل مكان؟ لكن إن وجدتم هذا حقا، ابحثوا وافحصوا في عناية الذين يحفظون الوصايا، ستجدون بصعوبة بين الألوف والربوات واحدا فقط يكون مسيحيا حقا في الكلمة وفى العمل. ألم يقل ربنا يسوع المسيح "من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها" يو١٤: ١٢.

📖 لكن من منا يجرؤ على أن يقول: "أنا أعمل عمل المسيح وأؤمن إيمانا تاما بالمسيح؟" ألم تروا إذن أيها الإخوة كيف نكون في يوم الدينونة في خطر من الحكم علينا بالخيانة، وندان بعذاب أقصى من عذاب غير المؤمنين، أي الذين يجهلون يسوع المسيح؟ قد يكون أحد

أمرين حقيقيين إما أن نقاسى عقابا أشنع من عقاب غير المؤمنين، أو يكون المسيح كاذبا في كلمته وهذا محال.

📖 كتبت هذا لا لأمنع أحدا من أن ينبذ العالم ولا لأجعل أحدا يفضل حياة الدنيا على الصمت، لكن لأؤكد لجميع من يقرءون هذا الكتاب أن أي إنسان يريد أن يعمل عملا صائبا ينال من الله القوة على هذا العمل، ولا يهم أين يكون، سواء في العالم أوفى عزلة صامته.

📖 وعلى عكس ذلك، فالقصة التي قصصتها عليكم يجب أن توحى كذلك إلى رغبة أعظم في الاعتزال عن العالم. لكن إذا كان أي إنسان يعيش في العالم ولا يفكر مطلقا في نبذه، أوفى ترك مقتنياته، أولا يفكر في الطاعة، ينال مثل هذه الرحمة من الله فقط لأنه أمن ونادى ربه من كل نفسه.

📖 إذن ما هي النعم المدخرة لهؤلاء الذين عندما ينبذون العالم وكل الناس، ويسلمون حياتهم للموت من أجل وصايا الله كما فرضها؟

📖 وأيضا إذا شرع أحد أن يتصرف تصرفا سليما بإيمان ثابت وغيرة شديدة، وابتدأ في تذوق الفائدة منها؟ فسوف يدرك بنفسه أن اهتمامات العالم، والحياة والتنقل في العالم، كلها معوق منيع لهؤلاء الذين يرغبون في أن يحيوا في الله، كما قلنا، إن ما حدث لهذا الشاب هو شيء عجيب، وغير عادى. ولم نسمع بحالة أخرى مماثلة لحالته. وإذا حدث أو يحدث مثل هذا الشيء لأى شخص آخر، يجب أن يعرفوا بأنهم إن لم يعتزلوا العالم فإنهم سوف يفقدون ما قد يحصلون عليه.

📖 وبعد فترة قابلت هذا الشاب عندما أصبح راهبا، بعد أن نذر نفسه للرهبنة بثلاث أو أربع سنوات وكان آنذاك في الثانية والثلاثين من عمره. عرفته معرفه تامة. لأننا كنا أصدقاء منذ الطفولة ونشأنا وتربينا معا.

📖 وقد قال لي الآتي: "بعد أيام قليلة من هذه الرؤيا العجيبة والتغيير الذي حدث فيّ هاجمتني تجارب وإغراءات العالم، حتى رأيت نفسي أفقد بواسطتها هذه النعمة تدريجيا عندما كنت أنجز أعمال الله الخفية. لذلك شعرت برغبة جامحة في نفسي أن أترك العالم، وفي عزلة أبحث عن يسوع المسيح الذي كان قد ظهر لي من قبل.

📖 لأني أعتقد أيها الأخ أن الله قد تعطف على وظهر لي كي يأخذني إليه ولو إني غير مستحق، يفصلني عن هذا العالم كله. لكن لما كنت عاجزا عن أداء هذا في الحال، نسيت تدريجيا كل شيء قلته لك وسقطت في ظلمة حالكة وجمود عقلي، ولم أتذكر شيئا عما سردته عليك، كبيرا أو صغيرا، ولم أعد أتذكر أقل حركة للفكر، أو الإحساس، وغرقت في آثام وخطايا أشد فظاعة من قبل، انتهت بي إلى حال كما لوكنت لم أسمع مطلقا كلمات المسيح أو أفهمها.

📖 وحتى هذا القديس رئيس الدير الذي كان قد عطف على، وأعطاني ذلك القانون البسيط وكتاب القديس مرقس، لم يعد لي سوى إنسان كنت قد قابلته مصادفة، حيث إني لم أعد أفكر في أي شيء يتعلق به.

📖 إني أقول لك هذا بالتفصيل حتى تدرك أعماق الهلاك التي أنا الإنسان التعس الملحد سقطت فيه، بواسطة إهمال، ولكن قد تمتلئ دهشة وعجبا من الرحمة التي تفوق الوصف التي أظهرها لي الله فيما بعد، لا أستطيع أن أخبرك كيف حدث هذا الذي تجهله نفسي، إن محبة وإيمان القديس رئيس الدير ظلت في قلبي المسكين، وأعتقد أنه من أجل محبته وإيمانه أن الله الرحيم استمع إلى صلواته، حتى بعد هذه المدة الطويلة غفر لي ورحمني.

📖 ومرة أخرى بواسطته انتزعني من الباطل وانتشلني من أعماق الشر، غير مستحق كما أنا لم أقطع صلتي برئيس الدير تماما، لأنني كلما أكون في المدينة، أذهب إليه في صومعته وأعترف له بما يحدث لي، ولو إني بدون حياء كنت أهمل إتباع تعاليمه، لكن الآن كما ترى

غفر اللـه الرحيم خطاياي العديدة، وبواسطة هذا الرئيس نفسه هيأ لـي أن أكون راهبا، وأن أكون معه دائماً، مع إنني غير مستحق.

📖 وبعد الأعمال الكثيرة والدموع الغزيرة مـع ارتـداد قـاس، واعتـزال عـن العـالم، وإطاعـة تامـة ونبـذ لإرادتـي، وتصـرفات أخـرى كثيـرة وأساليب صارمة لكبح شهوات نفسـي، واشـتياق جـارف لكـل مـا هـو صالح، منحت مرة أخرى رؤيا شعاع صـغير مـن هـذا النـور الإلهـي الكلى الحلاوة. لكن حتى هذا اليوم لـم أمـنح قـط أن أرى الرؤيـا التـي كنت رأيتها من قبل".

📖 أخبرني بهذا الحادث وعـن أشـياء أخـرى بـدموع غزيـرة، وعنـدما كنت أنا الرجل المسكين أستمع إلى كلماته الطاهرة اعتقدت أنه ممتلئ بالنعمة الإلهية وكان حكيما، رغـم أنـه لـم يـدرس الحكمـة الخارجيـة، واكتسـب العلـم مـن التـدريب والتجربـة، مـع أذكـى فهـم فـي الأمـور الروحية.

📖 لذلك سألته أن يخبرني أي نوع من الإيمـان هـذا الـذي اسـتطاع أن ينال به مثل هذه الظواهر الطبيعية، وأن يشرحه لي كتابة كمدرس.

📖 وفى الحال ابتدأ يخبرني بهذا وكتب لي كل مـا قالـه، ولكـى أتفـادى الإطالة أكثر مـن ذلـك سـأقص فـي مكـان آخـر مـا قالـه، حتـى يتمتـع بقراءته هؤلاء الذين يحبون مثل هذه الموضوعات ويقرؤونها بإيمان.

📖 لذا أرجو يا إخوتي أن نتابع في غيـرة طريـق وصـايا المسيح دون خجل. ولنكن كهؤلاء الذين يقرعون الأبواب بصبر وطول أناة، وكمن يفتح الرب لهم أبواب ملكوته حسب وعـده، ولـنكن مثل هـؤلاء الـذين يبحثون عن الروح القدس وينالونه.

📖 من المستحيل على أي إنسان يبحث بكل نفسـه، إلا يجـد اللــه، وألا يغتنـى ويثـرى بعطايـاه. لـذلك سـوف تنـالون دون شـك الـنعم الإلهيـة

المعدة لهؤلاء الذين يحبونه جزء منها، كالحكمة الروحية، سوف تظهر هنا، وكلها سوف تأتى كاملة في الحياة الآتية مع قديسي كل العصور، في يسوع المسيح إلهنا الذي له المجد إلى الأبد آمين.

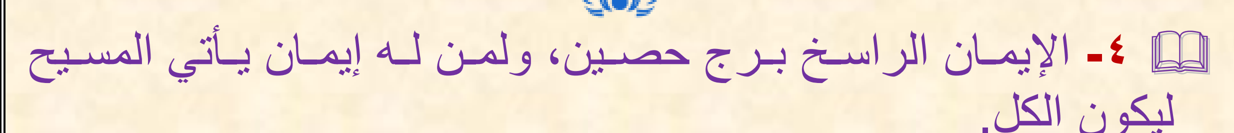
كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ الباب الخمس عن الايمان ـ سمعان اللاهوتي الجديد
تعاليم عملية ولاهوتية ـ صفحة ١٩٩ ـ ٢١٢

{١٣}

القديس مرقس الناسك

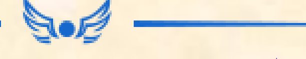
٣- كل شيء صالح اعطي بواسطة الرب، بعناية إلهية، ومن له إيمان بهذا فلن يفقد ما قد أخذه.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٦



٤- الإيمان الراسخ برج حصين، ولمن له إيمان يأتي المسيح ليكون الكل.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٦



٧- اطلب إلى الله لكي يفتح عيون قلبك، حتى تستطيع أن تعاين قيمة الصلاة والقراءات الروحية عندما فقم وتطبق.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٠٦



١٠٩- من لم يعرف الحق {إختباريا في داخله}، لا يمكن أن يكون عنده ايمان حقا، لأن بالطبيعة المعرفة تسبق الإيمان.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١٥



١٠٠- يوجد إيمان «يأتي من السمع» {ق.م. رو١٠:١٧}، ويوجد إيمان الذي هو «الثقة به يرجي» {عب١١:١}.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٢



📖 ١٥٨- كل الذات الجسدية تنتج من تهاون سابق، والتهاون ينتج من نقص الأيمان.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٨

{١٤}

القديس ديادوخوس الناسك

📖 ٢٠- الإيمان بدون أعمال، والأعمال بدون إيمان، سَيُدان كل منهما بالمثل، لأن من له إيمان، يجب أن يُقدم للرب الإيمان، الذي يُظهر نفسه في الأعمال. إن أبينا إبراهيم لم يكن يُعتبر باراً بسبب إيمانه، إن لم يُقدم ثمرته، ابنه {ق.م. يع ٢: ٢١، رو ٤ :٣}.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٢

📖 ٢١- من يحب الله فهو يؤمن حقاً ويتمم أعمال الإيمان بوقار.

📖 ولكن من يؤمن فقط ولا يحب، فإنه ينقصه حتى الإيمان الذي يعتقد إنه يملكه، لأنه يؤمن فقط بسطحية فكر مؤكدة، وليس متقوياً بالقوة الكاملة لمجد الحب. الجزء الرئيسي من الفضيلة، إذاً هو الإيمان المقوى بالحب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٢

📖 ٢٢- المياه العميقة للإيمان تبدو مضطربة عندما نحدق بها بفضول زائد، ولكن عندما يتم التأمل فيها بروح البساطة، تكون هادئة.

📖 إن أعماق الإيمان مثل مياه نهر النسيان، تجعلنا ننسى كل شر؛ ولن تُظهر نفسها لفحص الفكر المتطفل. فعلى ذلك دعنا نبحر في هذه المياه ببساطة العقل، وهكذا نصل الى ميناء مشيئة الله.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - القديس ديادوخوس الناسك - صفحة ٢٥٢

📖 ٢٣- لا أحد يستطيع أن يحب حقاً، أو يؤمن حقاً، إن لم يأتي بالاتهام على نفسه {يدين نفسه} أولاً. لأنه طالما أن ضميرنا مُثقل من

تأنيب الذات، فلن يستطيع أن يشعر بشذى البركات السمائية، ولكن يصبح على الفور منقسماً ومتناقضاً.

وبسبب الخبرة التي تمتع بها مرة، فإنه يمتد بحماس نحو الإيمان، ولكنه لا يستطيع بعد أن يدرك الإيمان في قلبه من خلال الحب، بسبب وخز ضمير يتهم. ولكن عندما نكون قد نقينا أنفسنا بانتباه أشد، حينئذ وبخبرة أكمل من الله سوف نقتني ما نرغب.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ القديس ديادوخوس الناسك ـ صفحة ٢٥٢

